

ديوان الثقافتين العربية و الأرمنية

عدد رقم ٨٩ | السنة الثانية عشر | يولية ٢٠٢٢

وداعاً د. فيكين جيزمجيان (١٨ سبتمبر ١٩٦١ - ٢٨ يولية ٢٠٢٢)

أريك

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير:
علي ثابت صبري
سكرتير التحرير:
عطا أحمد درغام

العنوان: ٢٦ ش مراد بك - صلاح الدين
مصر الجديدة - القاهرة

تليفون: ٢٢٩١٦٤٤٤ (٠٢)

رابط مجلة أريك الإلكتروني: https://me-qr.com/l/ArekArabic

رقم الإيداع: ١٨٣٧٤/ ٢٠١٠

إعداد و تصميم:



المحتويات

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

الاسم: ....
المهنة: ....
العنوان: ....
البريد الإلكتروني: ....
التليفون: ....

وداعـــاً
د. فيكين جيزمجيان
(١٨ سبتمبر ١٩٦١ - ٢٨ يولية ٢٠٢٢)

بقلم: على ثابت

أكتب وكلي ألم ، عن رحيل د. فيكين جيزمجيان رئيس مجلس إدارة جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة سابقًا ، شخصية فريدة من نوعها فى التعامل الإنساني ، صاحب أخلاق رفيعة ، صورة مشرفة بحق للمصريين الأرمن ، سيخلد التاريخ ذكراك د. فيكين .

ولد فيكين جيزمجيان فى ١٨ سبتمبر ١٩٦١ م بالقاهرة لأسرة أرمنية مصرية ، تدرج فى التعليم إلى أن حصل على بكالوريوس جراحة الأسنان فى عام ١٩٨٤ م ، من كلية طب الأسنان (القصر العيني) جامعة القاهرة ، وعمل (طبيب وجراح أسنان).

وكان لديه اهتمام شديد بمجال الرياضة ، فعين فى الفترة من ١٩٨٨- ٢٠٠٣ مديراً للعلاقات العامة ومدير الإعلام بالاتحاد الأفريقي لكرة القدم ، ونظرًا لكفاءته الشديدة تم الاعتماد عليه فى :-

- المسئول الاعلامي للفيفا فى كؤوس العالم (١٩٩٤ الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٩٨ فرنسا ، ٢٠٠٢ كوريا واليابان ، ٢٠٠٦ ألمانيا) .
- المسئول الإعلامي للفيفا فى كأس العالم للشباب فى مونتريال كندا ٢٠٠٧.
- عضو اللجنة الإعلامية للاتحاد الدولي لكرة القدم ١٩٩٨ – ٢٠٠٢ .
- عضو مجلس الادارة المعين للاتحاد المصري لكرة القدم ٢٠٠٧- ٢٠١٠ .
- منسق مباريات دولية للاتحاد الدولي لكرة القدم ٢٠٠٦ .
- مدير التخطيط ورئيس اللجنة الإعلامية والمتحدث الرسمي للجنة المنظمة لكأس الامم الأفريقية مصر ٢٠٠٦.
- مدير التخطيط للجنة المنظمة لكأس العالم للشباب ٢٠٠٩.



د. فيكين جيزمجيان (١٨ سبتمبر ١٩٦١ - ٢٨ يولية ٢٠٢٢)

فقد لعب د. فيكين دوراً ملموسًا فى المنظومة الرياضية العالمية والمصرية ، حيث ساهم بإيجابية فى كل المهام التى أوكلت إليه ، ومثَّل نموذجًا مصريًا مشرفًا ، ورافداً مهماً من روافد القوى الناعمة المصرية .

عزز ما سبق ، ما ذكره خالد عبد العزيز وزير الشباب والرياضة السابق فى وفاة دكتور فيكين جيزمجيان. وقال عبد العزيز عبر حسابه الشخصي على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" : رحمك الله يا دكتور ڤيكين يا صديقي العزيز ، كنت إنساناً رائعاً خلقاً وعلماً ومعشراً . تزاملنا وتعاوننا فى تنظيم كأس الأمم الإفريقية ٢٠٠٦ وكأس العالم للشباب ٢٠٠٩ .



وأضاف "تعلمت منك كثيراً فأنت أفضلنا وأعلمنا بإدارة البطولات الرياضية العالمية وخلقك الدمث وحياؤك واعتزازك بنفسك كان مثالاً مبهراً يحتذى ، ورحيلك فى هدوء بعيداً عن الضوء عبرة لنا ولكل من يريد أن يعتبر ."

على مستوى الجالية الأرمنية فى مصر

يُعد د. فيكين أحد أبرز ممثلي الجالية الأرمنية فى مصر ، فقد تولى رئاسة مجلس إدارة جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة منذ عام ٢٠٠٦ إلى أن صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها فى يولية ٢٠٢٢ .

وخلال هذه الفترة لعبت الجمعية دوراً بارزاً فى الحفاظ على الحضارة الأرمنية بكل روافدها الثقافية والاجتماعية والتاريخية ،كما حافظت على الشواهد التاريخية والكتابات الأصيلة ، وكشفت للرأي العام العربى الصورة الحقيقية للممارسات التركية ضد الشعب الأرمنى تاريخيًا .

وقد أنجزت الجمعية فى فترة توليه رئاسة مجلس إداراتها ، مشروع مهم للغاية تحت عنوان (القضية الأرمنية في الصحافة العربية ١٨٧٦-١٩٢٣) ، وكان للفقيد تصريحات فى غاية الأهمية والموضوعية فيما يخص هذا المشروع ، لـ "بوابة روز اليوسف" فى ٢٣ فبراير ٢٠٢٠ : إن الصحافة الصادرة في البلاد العربية وعلى رأسها مصر أم الدنيا ورمانة الميزان قد حوت على ما يمثل دليلًا دامغًا على ما حدث للأرمن من قبل الأتراك، حيث تناولت الصحف العربية قضية إبادة الأرمن في ٣٦ ألف نص مستقاة من ٢٥٣ دورية ، وأشار إلى جمع تلك الدوريات في ١٢ مجلدًا صادرة عن جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة.

وتعكس هذه المجلدات كل وقائع وأحداث الإبادة إما في قالب إخباري وإما قوالب الرأي والرأي الآخر، وقد وثقت تلك الكمية الهائلة من الكتابات والشهادات معاناة الأرمن في الفضاء العثماني بشكل موضوعي.

بل أكثر من هذا، تُقدم مجموعة مجلدات (القضية الأرمنية في الصحافة العربية ١٨٧٦-١٩٢٣) إلى القارئ العربي في المقام الأول الحقيقة المجردة من واقع ما تركه الكتاب والمحللون والمراسلون العرب (المسلمون) الذين عاصروا الأحداث ودونوا بصدق وأمانة حقيقة ما حدث للأرمن خلال الحرب العالمية الأولى والأربعة عقود السابقة عليها على يد الدولة التركية .

هذا ومن المتوقع أن يضع هذا المشروع الفريد سياسة الإنكار التركية في مأزق كبير ويكشف الادعاءات المستمرة بالتزييف التاريخي، ويضيف أرشيفًا مصريًا لقائمة الأرشيفات الأوروبية التي اكتظت بالوثائق التي طالما أنكرتها الدولة التركية.

وأعرب رئيس جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة عن أمله في أن يلزم المجتمع الدولي تركيا بعودة الحقوق إلى أصحابها بعد الاعتراف بأن ما حدث للأرمن إبان حكم العثمانيين (إبادة جماعية)، متوجها بالشكر للدولة المصرية شعبًا وقيادةً على الجهود التي بذلت وما زالت تجاه القضية الأرمينية.

كذلك صدور مجلة أريك (ديوان الثقافتين العربية والأرمنية) منذ أبريل ٢٠١٠ وحتى الآن ، والتى تمثل نقطة ارتكاز محورية ثقافية عربية أرمنية .



سيظل د. فيكين ذكرى عزيزة فى وجداننا ، رحم الله الفقيد



يروخان رائد الواقعية في الأدب الأرمني الحديث

بقلم/ عطا درغام

النشأة والبداية

يُعد الأديب الأرمني يروخان من رواد الواقعية في الأدب الأرمني الحديث التي عبرت عن آلام الشعب الأرمني ، وتفاعلت مع طموحاته وتطلعاته ، واستطاع ان ينتقل بالواقعية من مرحلة الانبهار بالذات والتغني بآمالها وأحلامها الفردية إلي مرحلة جديدة يُدرك من خلالها الذات كحلقة في البنيان العام للوطن.

ولد يرفانت سرماكيشخانليان ، وهذا اسمه الأصلي لكن يروخان (اسمه المستعار الذي ظهر به في عالم الأدب) في الخامس من يولية عام١٨٧٠ في منطقة خاسجيوج (بإسطنبول)، وتلقى تعليمه الأولي في المعهد النرسيسي الذي يقع في منطقة خاسغيوج ، و قيل إن يروخان كان طالبًا كسولًا وضعيفًا، حيث كان لديه نفورٌ خاص من الرياضيات، قائلاً" إن مدرسي الرياضيات هم الأشخاص رقم واحد الذين يكرههم في حياته ومن الطريف أنه جعل من مدير المدرسة قسطنطين أبانتريان" إحدي شخصياته الفكاهية في رواية من رواياته .

وفي عام ١٨٨٦ ، دفعه والده إلى ممارسة مهنة الطب ، لكن أحد أصدقائه أقنعه بتسجيل ابنه في الكلية المركزية الأرمنية التي افتتحت حديثًا ، والتحق يروخان بالمدرسة ، حيث كان ميناس شيراز معلمه ومديره،ولكنه لم يكن طالبًا متفوقًا، ومن المفارقات أنه كان متواضعًا في الأدب الأرمني.



يروخان رائد الواقعية في الأدب الأرمني الحديث

ولقد دفعه فقره أن يبحث عن عمل ؛ ليستطيع ان يستكمل تعليمه،فعمل مع أحد التجار لمدة أسبوع قبل طرده من العمل بدعوى أنه " لم يكن الرجل المناسب لهذه الوظيفة"

وخلال العامين التاليين ، كرس يروخان نفسه لقراءة العديد من الروايات من مختلف الكتاب الأوروبيين والأرمن ، حتي أجاد اللغة الفرنسية وقرأ أعمال الأدباء الفرنسيين باللغة الفرنسية.

في عام ١٨٩٠ نجح في الالتحاق بجريدة "الشرق" التي كانت مدرسة أدبية فعالة للمبتدئين، وفي الوقت نفسه ساهم بمقالات أدبية ونقدية في صحيفة "ماسيس" وصحف أخرى.

بدأ يروخان تجاربه الأدبية الأولى في سن التاسعة عشرة،

بكتابة القصص القصيرة، وبعد ٤-٥ أشهر من العمل في مكتب التحرير ، نُشرت روايته "بابوك" ، حيث أثني عليه الأديب الأرمني " أربيار أربياريان" قائلًا بعد قراءته للرواية " لكن كان الأمر رائعًا ، هل كتبته حقًا ؟ لكنك ستكون كاتبًا "، كما شجعه واكتشف موهبته الأديب زوهراب ،وحثه على مواصلة الكتابة، واستمر في نشر أعماله في الصحف الأرمنية الشرقية.

في بلغاريا

وخلال مجازر ١٨٩٦ انتقل يروخان إلى بلغاريا ، حيث واصل العمل في صحف "بيزنطة" والتي تقدم لقراء إسطنبول الأرمن الحلقات الصعبة من حياة المهاجرين الأرمن في ڤارنا تحت الاسم المستعار "أشوچ" ، وكذلك واصل عمله في صحيفة "زمانك"

وفي مارس عام ١٨٩٨ ،وبمساعدة ڤاردان مشتوتچيان أسس صحيفة "الحركة" اليومية ، وأوضح في إحدي مراسلاته مع أرشاك شوبانيان المقيم بباريس، و الذي كانت له معه اتصالات وثيقة ، الغرض والاتجاه من الصحيفة .

فيقول: "على أي حال ، يمكنك التأكد من أن الهدف الوحيد لك وللأشخاص الذين معي ،هو نشر صحيفة ، سياسية جزئيًا ، وأدبية جزئيًا ، وخالية من صراعات العاطفة والحزبية التي لا تنتهي وغير الضرورية."

ثم ينسحب من الصحيفة في العام التالي موضحًا كذلك لأرشاك شوبانيان في رسالة بتاريخ ٢١ مايو من نفس العام، السبب. فيقول:" لا علاقة لي بالحركة لدرجة أنني لا أتفق إطلاقا مع اتجاهها الحالي ، مع الأحكام الفاضحة التي ستوجهها إلى اليمين".

و في عام ١٩٠٠ تولى تحرير "شاڤي" التي تصدر مرتين أسبوعيًا ، ونشر فيها منذ عام ١٩٠٠ رواياته " حب مرفوض"،" المغتربون" التي بقيت غير مكتملة (نشرت في "شاڤي") ،وصحيفة "شارزوم" ، كما عمل في مجلة "أناهيت" التي ظهر على صفحاتها لأول مرة تحت اسم يروخان.

في مصر

وفي عام ١٩٠٤ هاجر إلى مصر، واستقر في الإسكندرية وعمل مرة أخرى في العمل التربوي لمدة ثلاث سنوات قام بالتدريس في مدرسة بوغوصيان لمدة عام واحد قام فيها بتدريس الأرمينية والفرنسية في المدارس الثانوية .

وفي عام ١٩٠٥ ،أصدر مع سمبات بورات مجلة "سيسڤان" " الشهرية التي صدرت في عددين فقط.، نشر فيها ترجمته لرواية مكسيم جوركي "بولس" ورواية بول بورچيه "ثنائية" في "سيسفان"، وفي القاهرة ، عمل في مدرسة القاهرة درَّس فيها التاريخ والجغرافيا، وهناك تولي رئاسة تحرير صحيفة" لوسابير" بعد وفاة رئيس تحريرها أربيير أرابياريان ، وظل فيها حتي عام ١٩٠٨ قبل عودته إلي إسطنبول.

العودة إلي إسطنبول

بعد ثورة تركيا الفتاة و إعلان الدستور العثماني ، عاد مع العديد من المثقفين والمفكرين الأرمن الذين هاجروا من الاضطهادات والملاحقات العثمانية إلى إسطنبول ، حيث تولى رئاسة تحرير جريدة " الشرق" .

و منذ اليوم الأول ، حاول استخدام حرية الصحافة التي منحها الدستور العثماني ،وقام خلالها بإعادة صياغة رواية "الحب الملعون" و"فتاة أميرة"، ونشر مجموعة من القصص القصيرة " في الحياة " في إسطنبول ، والتي أثبتت مرة أخرى أن الكاتب تابع مخلص لتقاليد حركة الثمانينيات.

إلي جانب العمل الصحفي عمل في تدريس اللغة الأرمنية في المدرسة المركزية بإسطنبول.

وخلال الفترة من ١٩٠٨ -١٩١٥ تفتح صحيفة "الشرق" قسم "الآراء الحرة" ، حيث يتم نشر الرسائل والمقالات التي تحتوي على قضايا مثيرة للجدل تتعلق بمختلف مجالات الحياة الأرمنية.

وكتب العديد من المقالات حول قضايا تقرير المصير والتحرير الوطني لأرمن أرمينيا ، والتي كانت ذات أهمية كبيرة لهذه الفترة ، ولا سيما صداقة الشعوب ،

وإنكار حقوق الإنسان ، والحرية ، وإنكار العنف وخلق مجتمع موحد.
وفي عام ١٩٠٩ ، انتخب عضوًا في مجلس قضاء خاسغيوغ ، ثم نائبًا عن مجلس الأمة عن بابرد حتي عام ١٩١٢، و هنا ، يتضح الجوهر الحقيقي ليروخان الذي يمكن أن نصفه بأنه أمين المظالم ، الذي كان نزيهًا وشريفًا ، وبذل كل مساعيه من أجل حماية مصالح العمال الفقراء ، واستعادة حقوقهم ، وتحسين التعليم.
وفي الرابع من يولية عام ١٩١٠ ، استقال من رئاسة تحرير جريدة "الشرق" وتولى منصب مدير مدرسة خاش الوطنية في سانت سكوتاري حتى عام ١٩١٣.
و في أغسطس من نفس العام غادر إلى خاربرت (خربوط) ، حيث بدأ التدريس في مدرسة مزير المركزية، وتزامن وصوله إلي خاربرت(خربوط) مع الاحتفال الوطني الكبير، وبمبادرة من كلية الفرات ، يتم الاحتفال بالذكرى ١٥٠٠ لاختراع الأبجدية الأرمنية ، حيث ألقي يروخان كلمة ملهمة قال فيها:
" اليوم يمكننا أن نفخر بأنفسنا ، لأن المساهمة الغامضة التي قدمها أسلافنا المباركون لنا ، عرفنا كيف نحافظ على نقائنا ، لحماية أنفسنا من الهجمات المدمرة لأعدائنا. ولأجيال أكثر فأكثر ، وهب جيلنا نصيبه من الدم للوحش البشري الرهيب فمزقها ومزقها إربا ، وفي عام ١٩١٣ نشر روايته "ابني العزيز" في مجلة "فوستان".

نشاطه الأدبي

يمكن تصنيف يروخان على أنه أديب واقعي، بل من رواد الواقعية ، أمثال زهراب وروائيين واقعيين آخرين، وفي حياة حافة بالنشاط الفكري والإبداع الأدبي امتدت إلي ربع قرن ، حيث كتب ما يقرب من ستين رواية قصيرة وروايتين.
وتعتبر قصصه ميزة كبيرة للمؤرخين لأنه كان محترفًا في تصوير التطور اليومي للعديد من الشخصيات بتفاصيل كبيرة،حيث استطاع ان يقدم لنا وصفًا دقيقًا للحياة الصعبة والبسيطة التي يعيشها الصيادون والحمالون ورجال الإطفاء في العديد من القصص القصيرة التي كتبها.
كانت أوصافه الدقيقة شكلاً من أشكال التاريخ الموثق لهؤلاء الأفراد المحددين وبيئتهم الخاص، فهو يُتيح لنا رؤية ثاقبة للمهن والأعراف الاجتماعية والتسلسل الهرمي الاجتماعي والأيديولوجيات.
لم ينظر إلى الطبقة الأرستقراطية من أجل الوقائع المنظورة له ، ولكنه بدلاً من ذلك انجذب إلي عامة الناس كاقتباس رئيسي لتصوير الشخصيات.
فكان عنده العمل والعمل الشاق الذي جعل الرجال يصنعون أشخاصًا أفضل، ويقدمون لهم مهنيين أفضل لتقدير الحياة، فأولئك الذين جاهدوا لإحضار الطعام على المائدة كانت قلوبهم أنقى من أولئك الذين لم يفعلوا ذلك .
أبدي يروخان تعاطفًا ملحوظًا مع الفقراء، لكنه أدرك شجاعتهم وطبيعتهم الحازمة، وعبر عن تعاطفه هذا من خلال قصصه عنهم، فكان أفضل تكريم لهم هو التعبير عن آلامهم وتطلعاتهم.
امتاز التواصل اللغوي عنده بالبساطة المعتادة ،لكنه في بعض الأحيان يكون مسدودًا بمفردات غير موجهة ومقارنات عديدة دقيقة، متأثرًا كثيرًا بالكتاب البارزين الذيين قرأ لهم وظهر تأثيرهم في بعض كتاباته.
تملت أعماله الروائية في : "فتاة أميرة" ، "قصة ليتل سيب" ، "المنهكة" ، "الغسالة" ، "السارق" ، "وصف اليائس" ، "سيرينا" ، "حاملة مياه الموتى" ، "بدلاً من ذلك من السمك "،" الغفران الأسمى "،" الكفارة "، " انتقام الأغبياء " و"الابن الشرعي"وما إلى ذلك.
وتُعد "فتاة أميرة" واحدة من أفضل الأعمال في الأدب الأرمني الغربي، يصور مأساة حول التباين بين فئتين من الأرمن على قيد الحياة في القسطنطينية... نُشرت هذه الرواية عدة مرات في مدن مختلفة في سنوات مختلفة.
و"الابن الشرعي" ،هي رواية روحية عن زوج يعتقد أن زوجته أساءت إليه، وأن ابنهما بالتالي غير شرعي.يعذب الأب بسبب الفكر وينتحر أخيرًا.

وعن مقالاته الصحفية ، فقد أظهرته كشخص شغوف بالشؤون اليومية للبلد،مؤمن بالحقوق التي وعد بها الدستور ومؤمن بالوطن العثماني مثله مثل معظم معاصريه ، منزعجًا وملأًا من بيئة إسطنبول، وانتقد بشكل غير مباشر الأوصياء الأنانيين للمجتمع الأرمني .

وناقش يروخان الدور المدمر للرأي العام، كما أشار إلى اللصوص المخادعين وإلي الصحافة التي لا أساس لها والتي تمجد هؤلاء المخادعين في تعبيرات زائفة مخادعة .

يقدم كل هذا بأسلوب ممتع وجذاب وألفاظ رشيقة للغاية و تعبيرات مؤثرَة وأسلوب واقعي جدًا حيث تتميز لغته بأنها لغة غنية غنية بمفرداتها.

و إلي جانب إبداعاته ينقل لنا رحلته إلى الوطن والحياة الريفية لقراء إسطنبول في سلسلة من المقالات بعنوان " في آسيا الصغرى" .

وإلي جانب نشاطه الصحفي والأدبي قام يروخان بترجمة دراسة إدوارد تريو المنشورة بعنوان "المشكلة الشرقية للمسألة الأرمنية من أصلها حتى يومنا هذا".

واستخدم ألقاب "مهاجر" و "إي مهاجر" و "أشوغ"، كما ترجم من الفرنسية "جاك" من تأليف ألفونس دود (١٨٩٦) ، و"عائلة" تأليف هيكتور مالو (١٨٩٤-٩٥) ، و"ذئاب باريس" لجيه ليومينا (١٨٩٣-١٩٩٤) ، جيه ماري " دزوي" (١٨٩٤) وغيرها من الروايات والقصص القصيرة.

وأخيراً لقد شعر يروخان بدنو أجله ،فكتب في رسالة له في ٢٩ يناير في سنة الإبادة، قال فيها : "من يدري متى سنرى بعضنا البعض ، ربما لم لا – لن نرى على الإطلاق ما يمكن أن يحدث.

هذه ليست إسطنبول ، كل شيء في الشعر. في أحد الأيام ، لقد توقع الكارثة ،ولكن في قلبه كان يتوق إلى القليل من الأمل في الخلاص في جو من الكآبة والرعب واليأس، فيقول "حالتي العقلية لا توصف ، وليس من السهل أن أكون في أعماق الأناضول.... في ذلك الوقت. كتبت يروخان: "هل نرى بعضنا البعض بصحة جيدة؟"

وفي الرابع والعشرين من أبريل ١٩١٥، اعتقل المثقفون الأرمن ، وتم القبض على يروخان وبساك ڤاردابيت ومعلمي كلية الفرات كارابت سوچيكيان ونيكوجوس تينيكشيان وتلكاتينسي وغيرهم.

تم تقييده بالسلاسل في الشوارع ، وتعرض لمختلف الإهانات والتعذيب ، ثم نُقل إلى ديار بكر في عربة مغلقة ،عند سفح جبل ماستار ، وفي وادي دي بوين قُطعت رأسه بوحشية بفأس أحد الأوغاد الذين كلفتهم السلطة الحاكمة القيام بهذه الأعمال الوحشية.

ليرحل يروخان عن الحياة في الحادي عشر من يونية ١٩١٥ ، وتصعد روحه إلي بارئها مع أرواح أخري كانت أجسادهم وقودًا لإبادة لم يشهد التاريخ لها مثيلًا، ولا ذنب لهم غير أنهم أرمن ، وحتي زوجته استشهدت هي وطفلاه في مسيرات الموت افي طريقها إلى دير الزور.

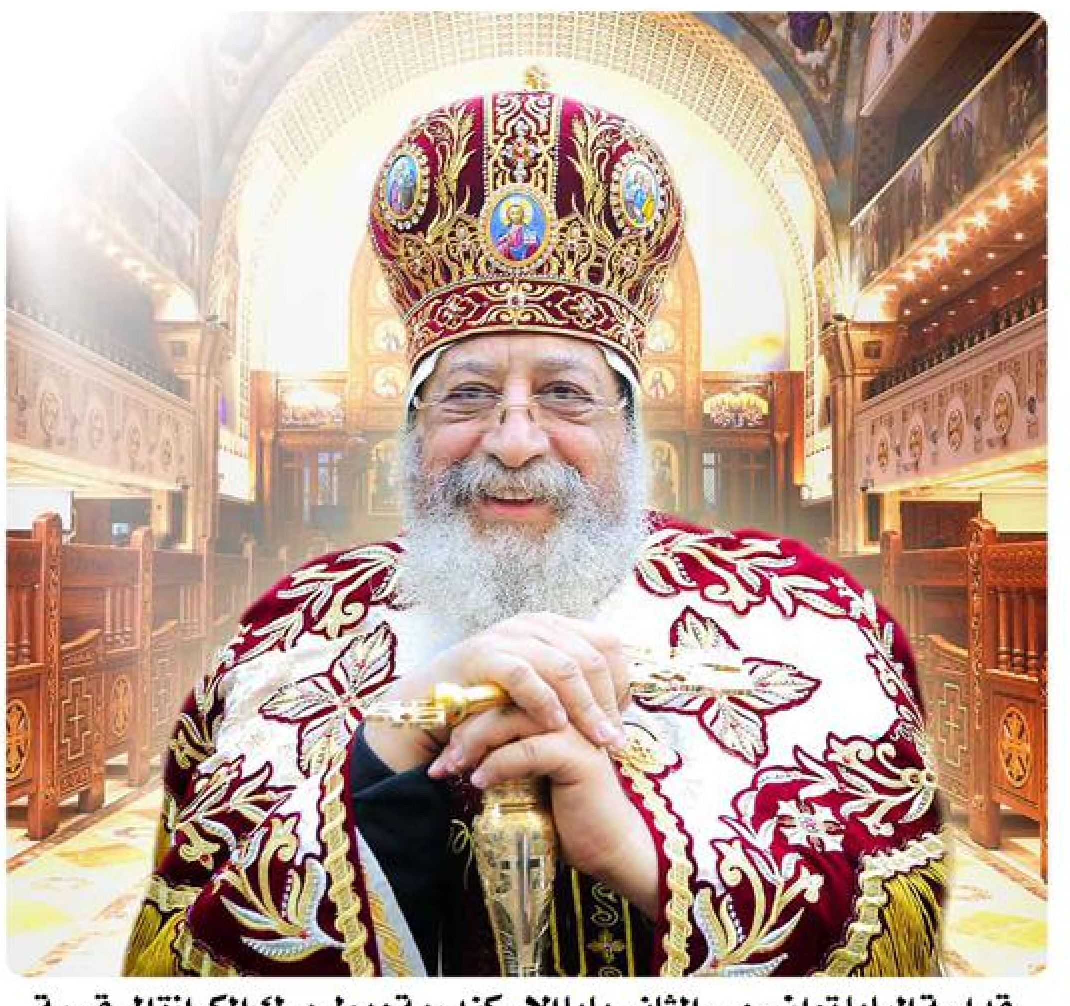


الكنيسة المصرية
أحد أعمدة الدولة المصرية الحديثة

بقلم : جاكلين جرجس

ليس غريبًا أن تنهض مصر من جديد بعد الانتكاسات السياسية والاقتصادية المتلاحقة فهى رمز الصمود و القوة مهد الحضارة و العلم مركز الثقافة و حاضنة الأديان ، ليس غريبًا على مصر أن تعود دّرة الشرق من جديد؛ فقد حباها الله بمحبة وعناية فائقة عندما ذكرها فى القرآن الكريم ما يقرب من ٢٥ مرة؛ منها ما هو بالتصريح، ومنها ما هو بالتلميح ، كما حصلت على مباركة خاصة من السيد المسيح خلال رحلة العائلة المقدسة و نقش اسم مصر فى الكتاب المقدس حوالى ٤٦٥ مرة ؛ لذلك نجد أن مصر تعيش فى وجدان و قلب كل مصرى أصيل ، ممهورة قلوبهم باسمها حتى أن الكنيسة القبطية دافعت عن حرية مصر على مر العصور فهى تمثل الامتداد الطبيعي والوريث الشرعي للحضارة المصرية القديمة ، شهد بذلك وعن حق عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين حين قال :" الكنيسة القبطية مجد مصرى قديم؛ ومقوم من مقومات الوطن المصرى، فلابد أن يكون مجدها الحديث ملائمًا لمجدها القديم".

و الأن مصر تبنى مجدها الحديث بتغيرات واسعة النطاق لتتمكن من اللحاق بركب التطورات العالمية التي يشهدها المجتمع الدولى ، بعد أن انتقلت من مرحلة تثبيت أركان الدولة، وتعزيز تماسك مؤسساتها



قداسة البابا تواضروس الثانى بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

واستعادة الاستقرار، و العمل على الحفاظ على الدولة الوطنية ، يأتي دور عملية البناء والتنمية، تحل علينا فى هذه الأيام ذكرى ثورة ٣٠ يونية تحمل معها آمال جديدة لكافة المصريين ؛ ونحن نحتفل بثورتنا المجيدة دعونا نتتبع بعض الملامح التى تجلت فيها وطنية الكنيسة القبطية ودافعت فيها عن الهوية الوطنية للدولة المصرية بداية من سقوط مصر فى قبضة الإخوان و حتى نجاتها واستردادها على يد رئيسها الوطنى **عبد الفتاح السيسي** ، و يتجلى عظمة دور الكنيسة القبطية فى مرحلة هى الأهم فى عمر مصر من خلال عدة محاور رئيسية .

المحور الأول : الكنيسة القبطية مكون أساسي لهوية مصر الوطنية :

بداية يمكن تقسيم العصر القبطي فى مصر إلى مرحلتين أساسيتين ، **الأولى:** منذ دخول المسيحية فى القرن الأول الميلادي حتى الفتح الإسلامى فى القرن السابع الميلادي على يد عمرو بن العاص، لم يكن باباوات الإسكندرية قبل الإسلام مجرد زعماء دينيين لكن كانوا قادة وطنيين لعبوا دوراً سياسياً مهمًا ، كما حافظت على الهوية والشخصية المصرية التى استمر كثير منها حتى اليوم كالرهبنة القبطية ، والموسيقى القبطية التى عاشت فى الكنائس والأديرة ، واللغة القبطية التى استمرت لليوم فى الكنائس.

أما **المرحلة الثانية** فى الثقافة القبطية: فهى منذ الفتح الإسلامى حتى اليوم ومن أهم خصائصها امتزاج التراث القبطي المصرى الموروث بالوافد العربى الإسلامى مما أنتج خليط ثقافي فريد.

لذلك اهتمت الدولة المصرية أن ينص الدستور المصرى على المادة السابعة والأربعين من الدستور و التى تنص على "أن الحضارة القبطية تُعد مكون أساسي لهوية مصر ، أن تلتزم الدولة بالحفاظ على الهوية الثقافية المصرية بروافدها الحضارية المتنوعة".

وتضيف المادة الخمسون من الدستور ذاته أن « تراث مصر الحضاري والثقافي، المادي والمعنوي، بجميع تنوعاته ومراحله الكبرى، المصرية القديمة، والقبطية، والإسلامية، ثروة قومية وإنسانية، تلتزم الدولة بالحفاظ عليه وصيانته، وكذا الرصيد الثقافي المعاصر المعماري والأدبي والفني بمختلف تنوعاته، والاعتداء على أيٍ من ذلك جريمة يعاقِب عليها القانون وتولى الدولة اهتماماً خاصاً بالحفاظ على مكونات التعددية الثقافية فى مصر » .

هاتين المادتين تعمقان لجذور هوية مصر الوطنية و تأكدان على أهمية المكون القبطي على مر العصور .

المحور الثانى : صمود الكنيسة القبطية أمام المعتدين و دفاعها عن حرية مصر :

لا شك أن الكنيسة القبطية قدمت الكثير من التضحيات على مر العصور ولعل أخطرها ظهور جماعات العنف السياسي المناوئة للسلطة خاصة ، وكان من تداعياته عدم استقرار وضع الأقباط ،بكل تأكيد جاء قداسة البابا تواضروس الثانى رأسًا على الكنيسة القبطية فى مرحلة حرجة من عمر مصر مُصًرا على استكمال مسيرة الكنيسة و الآباء البطاركة الذين سبقوه أصحاب المواقف الوطنية المشرفة، ليقف بجانب القوات المسلحة و الأزهر و الشرطة و جميع القوى السياسية ، فلم يمهله القدر كثيرًا فبعد شهور من تجليسه على الكرسي المرقسى ، تعرضت الكنائس المصرية لهجوم شرس من جماعة الإخوان ، لكنه أعلن بكل جرأة و تصميم الانحياز الكامل لكلمة الشعب المصرى الذى خرج فى مسيرة حاشدة يوم ٣٠ يونية ٢٠١٣ ليدعو بإسقاط نظام الإخوان ، وتحدث قداسته فى كلمته للشعب أن هذه لحظة فارقة بتاريخ مصر الحبيبة ، وهي خريطة المستقبل التي أعلنها القائد الأعلى للقوات المسلحة، وتحتوي على كل العناصر التي تضمن السلام لكل المصريين و وضعت بإخلاص قلبي و محبة شديدة للوطن.

من أهم و أبرز الأحداث التى تعرضت لها الكنيسة القبطية فى عهد الإخوان:

تلك التصريحات التى أدلى بها المرشد العام لجماعة " الإخوان المسلمين"، وأيد فيها فرض جزية على الأقباط، ومنعهم من الانخراط فى المؤسسات العسكرية، للشك فى ولائهم للدولة فى حال اصطدامها بأعدائها من غير المسلمين، هو الأمر الذى يُعد ضربًا فى الصميم لمفهوم المواطنة، و بالطبع نال الأقباط النصيب الأكبر من شر الإخوان، حيث توالت الأحداث والوقائع التي دفعتهم للنزول يوم ٣٠ يونية لإسقاطهم .

١- تأجج الوضع عقب فض اعتصامي رابعة والنهضة وبعد عزل مرسى قامت جماعة الإخوان بعقاب المسيحيين بشكل شرس .

٢- تعرض الكاتدرائية المرقسية بالعباسية لأول مرة منذ إنشائها للهجوم والاعتداء عليها بالخرطوش والمولوتوف والقنابل المسيلة للدموع، واكتفاء محمد مرسى بالاتصال بالبابا تواضروس يؤكد فيه أن الاعتداء على الكاتدرائية هو اعتداء عليه شخصيا !!

٣- حتى الخطاب الأخير لمحمد مرسى بقاعة المؤتمرات معترفًا فيه بوجود فتور فى العلاقة مع المسيحيين ،و فى حينها أصر الإخوان على بث العديد من الخطب لكراهية الأقباط عبر قنوات الإخوان واعتبارهم من الكفار.

٤- ارتفاع حصيلة الاعتداءات على الاقباط و المصريين ككل خلال حكم مرسى ،و كانت كالأتى :

تم مقتل ٧٩ مواطناً منهم ٣٧ قبطياً و ٦٢١ جريحاً بالإضافة إلى ٤٣ حادث طائفى وتم الاعتداء على ١٢ كنيسة و تهجير ٢٣ أسرة برفح ودهشور، كما تم ازدراء الدين المسيحى ١٤ مرة من ياسر برهامى و قام أبو إسلام بحرق الإنجيل ومع ذلك صدرت المحكمة حكم بإيقاف التنفيذ ، كما تم اغتيال قس بالعريش على يد متطرفين، و حرق عدد من الكنائس فى المنيا فى يولية ٢٠١٣

٥- إلا أن الموقف تأزم كثيرا بعدها حيث تم الاعتداء على كنائس وممتلكات المسيحيين بشكل جماعى، و حرق ما يقرب من ٩٠ كنيسة، ما بين حرق كامل، وما بين احتراق وهدم جزئى ،فتحولت قضية الأقباط من قضية حقوق إلى قضية دفاع عن الوجود .

حينها تعرضت مصر إلى هجمة شرسة تستهدف هويتها فى المقام الأول، عبر فرض الاخوان لأفكارهم على المجتمع بهدف "أخونته" بالكامل ودفع الأقباط إلى الهجرة من مصر وتغيير تركيبة المجتمع و تنوعه الفريد الصامد عبر التاريخ .

رد فعل الكنيسة القبطية و البابا تواضروس تجاه الاعتداءات المتكررة :

أثبت البابا تواضروس للعالم كله أن الكنيسة الارثوذكسية مكون أساسي لمصر و أحد أعمدة الدولة المصرية فقد طالب كنائس المهجر بأن تكّون سفارات شعبية لمصر فى الخارج و تكذب الادعاءات بأن ثورة ٣٠ يونيو كانت انقلاباً و ليست ثورة شعبية وهذا ما كان يبرزه دائما خلال زيارته الخارجية وخلال لقائه بوفد من الكونجرس الأمريكي مؤكدًا أن أوضاع المسيحيين المصريين تحسنت بالفعل ، وأن للحرية ثمنا غاليا وأن "حرق الكنائس هو جزء من هذا الثمن نقدمه لبلادنا بصبر وحب "،و ظل البابا مدافعًا عن صورة مصر أمام العالم عقب تفجير البطرسية، خاصة عندما استقبل المستشارة الألمانية انجيلا ميركل بالكاتدرائية، وأكد لها أن أوضاع المسيحيين المصريين تحسنت مع ثورة ٣٠ يونيو التي قام بها الشعب المصري مسلمين ومسيحيين، وحماها الجيش المصري.

مكتسبات الأقباط بعد ثورة ٣٠ يونية ٢٠١٣ :

بالفعل توالت بعد ثورتنا المجيدة استرداد الأقباط لحقوقهم المشروعة و التى ينص عليها الدستور و حصل أخيرًا و ليس أخرًا على حقوق أهدرتها الحكومات المتعاقبة ، حيث عاش المسيحيون ما يزيد على قرن من الزمان، ضحايا لمرسوم الخط الهمايونى الذى أصدرته الدولة العثمانية .

لكن خلال تسعة سنوات من تعميق الدولة لأطر المواطنة و أسس المساواة كان للأقباط مكتسبات عديدة تمثلت فى :

١- إقرار أول قانون لبناء الكنائس فى مصر.

٢- وضع بروتوكول لزيارة رئيس الدولة المصرية لقداسة البابا فى قداسات الأعياد مؤكدًا على المواطنة و الأخوة

٣- أوفت الدولة بوعودها و تم إصلاح الكنائس التي أحرقت ودمرت على يد الجماعة الإرهابية .

٤- كما تم تقديم قائمة شاملة بكل الكنائس التى ليس لها ترخيص فى كل القُطر المصرى و إعطاء الرخص لها بالتوالي وما زالت هذه العملية مستمرة إلى وقتنا هذا، مع العلم أنه لم يتم إيقاف الصلوات فى هذه الكنائس.

٥- تم حل معضلة بناء الكنائس ، بينما فى عام ٢٠١٦م ، شهد صدور أول قانون لبناء الكنائس فى مصر، الذى يعالج قضية الكنائس غير المرخصة التى بنيت بتفاهمات بين الأمن والكنيسة، دون أن تحصل على أوراق رسمية بعدما تسببت فى عشرات الاحتكاكات بين مسلمين ومسيحيين ، إذ يضمن القانون ترخيصها وفقا لشروط بنائية وأمنية تضمن سلامة الجميع

٦- إقرار بناء كنائس جديدة فى أى مدينة جديدة

٧- بناء كاتدرائية العاصمة الإدارية التى شهد الرئيس **السيسي** أول صلاة مما يُعد دليلًا دامغًا على المواطنة .

٨- وعلى صعيد التمثيل النيابي نجحت دولة ٣٠ يونية فى التخلص من فكرة إبعاد الأقباط عن البرلمان، وحصد النواب المسيحيين لأول مرة فى التاريخ ٥٣ مقعدا نيابيا، و لأول مرة يتم تعيين مستشار قبطي رئيسًا للمحكمة الدستورية العليا وانتخاب وكيلة مسيحية لمجلس الشيوخ .

كل تلك المنجزات يشهد بها البابا تواضروس ويشيد بها فى كل مرة يلتقى فيها ضيف أجنبي من ملوك ورؤساء وحكام الدول الأجنبية والعربية.

دور الكنيسة القبطية كشريك أساسي فى بناء الجمهورية الحديثة :

تعمل الكنيسة القبطية الأن على دعم كافة المبادرات الرئاسية والمشاريع القومية، مؤكدة على أن التنمية هي الطريق الوحيد للجمهورية الجديدة فتعمل أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية «ذراع الكنيسة التنموية»، شريك فاعل، حيث عقدت بروتوكولًا مع مبادرة «حياة كريمة» و«المشروع القومي لتنمية الأسرة».

كما أن المشروع القومي «حياة كريمة»، يساهم في تنمية الأسرة المصرية إلى جانب الاهتمام بالتمكين الاقتصادي للمرأة المعيلة، من خلال تقديم مشاريع متناهية الصغر لها لضمان استدامة المشروع، كذلك تجهيز العرائس بعد إعطائهن دورات مشورة أسرية ونفسية وتربية الأطفال، لضمان ترابط أسري سليم، وللتوعية بالقضايا المجتمعية المهمة بمشاركة وزارة التضامن الاجتماعي لتغيير سلوك المجتمع .

و تساهم الجمعية المصرية لتنظيم الأسرة فى معالجة القضية السكانية بشكل لا مركزي حيث إن الجمعية تتواجد في ٢١ محافظة بـ١٠٤ مراكز طبية وعيادات لتقديم خدمات تنظيم الأسرة بالمجان لكافة السيدات، وتستهدف الشباب بـ١٧ عيادة صديقة بالإضافة إلى ١٠٤ عيادات، وتقدم المشورة قبل الزواج وتحدث معهم في كافة القضايا الإنجابية.



بالإضافة إلى مجهودات معهد تدريب بحوث الصحة الإنجابية بمحافظة الإسكندرية أيضًا يتم التعاون مع مؤسسة «حياة كريمة» في إطار المبادرة الرئاسية، من أجل استدامة الجهود في خفض معدل الإنجاب من ٦٫٢٪ إلى ٢٫٩٪ بهدف أن نصل إلى انخفاض أكثر من ذلك على مدى الأعوام القادمة .

و لأن الكنيسة القبطية تُعد إحدى أهم القوة الناعمة فى مصر تقرر العمل على إطلاق حملات محو الأمية الرقمية، وفتح فصول رقمية متنقلة لأطفال المدارس وأهالي قرى حياة كريمة، إلى جانب تنمية عقول الأطفال بطرق جديدة من خلال المسرحيات ،و هو ما دعا إليه الرئيس عبد الفتاح السيسي من حيث تضافر جهود الدولة لتحقيق التنمية وذلك لمحاربة الفقر والجهل والتخلف، والتحول إلى الغنى والوعي والمعرفة والتقدم والازدهار.

كما تقوم الكنيسة بدورها الوطني ومسئوليتها تجاه القضايا العالمية والمجتمعية، ودعمها لاستراتيجية مصر الوطنية من خلال توقيع بروتوكول تعاون بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية و وزارة البيئة، للارتقاء بالوعي البيئي، ويهدف اتفاق التعاون إلى تعزيز العمل المشترك في مجال القضايا البيئية والوصول إلى ثقافة عامة للمجتمع تترجم إلى سلوكيات إيجابية نحو البيئة ومواردها الطبيعية من أجل حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة من أجل تنمية المجتمع المصري والوصول إلى الفئات الأكثر احتياجا والفئات المهمشة.

كما أن الأسقفية تولي اهتماما كبيرًا لدعم قضايا البيئة خاصة قضايا التغيرات المناخية لما لها من آثار اجتماعية واقتصادية تعيق عملية التنمية، الأمر الذي يتطلب المزيد من التعاون بين كافة الأطراف المعنية لحمايتها وتنميتها. أيضًا ظهر دور الكنيسة القبطية جليًا في تنفيذ الاستراتيجية الوطنية لتغير المناخ ٢٠٥٠ فأطلقت الكنيسة وثيقة والتي استخلصت منها أهم الرسائل التنموية :

ربط الحفاظ على البيئة بفكرة مرونة المجتمعات في مواجهة آثار تغير المناخ، حيث أن الدول النامية ومنها مصر رغم أنها لم تتسبب في انبعاثات تغير المناخ إلا أنها الأكثر تأثرًا به، مما يتطلب تعزيز قدرات تلك الدول على التكيف مع آثار تغير المناخ وإنشاء مجتمعات لديها المرونة والقدرة على الصمود أمام آثار تغير المناخ.



إذن التراث القبطي و الكنيسة القبطية أثبتت على مر العصور وطنها و أنها مكون أساسي من التراث المصرى، فهو تراث مشترك بين المسلمين والمسيحيين ، فالمصريون جميعا يتفقون ويشتركون فى غالبية مكونات الوطن والهوية: فالعرق واحد ، والثقافة المشتركة واحدة، والأرض واحدة يعيش عليها الجميع.

ولهذا هناك ضرورة تقديم التراث القبطي لأهلنا فى الإعلام والمدارس والجامعات باعتباره جزءًا من التراث الوطنى المصرى، ولابد من التركيز على المشتركات الثقافية المصرية؛ خاصة ونحن نحتفل بمرور تسعة أعوام كاملة من العمل والجهد المتواصل نرفع شعار يحيا الهلال مع الصليب لتستمر عملية التنمية وصولاً إلى مستقبل مشرق، مع التأكيد بأن بناء مصر الجديدة القوية يؤكد دائمًا على الالتزام باحترام حقوق الإنسان و المواطنة وترسيخ قيم التعايش المشترك والتسامح و تأكيد التلاحم بين الدولة والمواطنين باعتبارهما إحدى دعائم بناء الجمهورية الجديدة .



العلاقات البلشفية الكمالية وأثرها على القضية الأرمنية

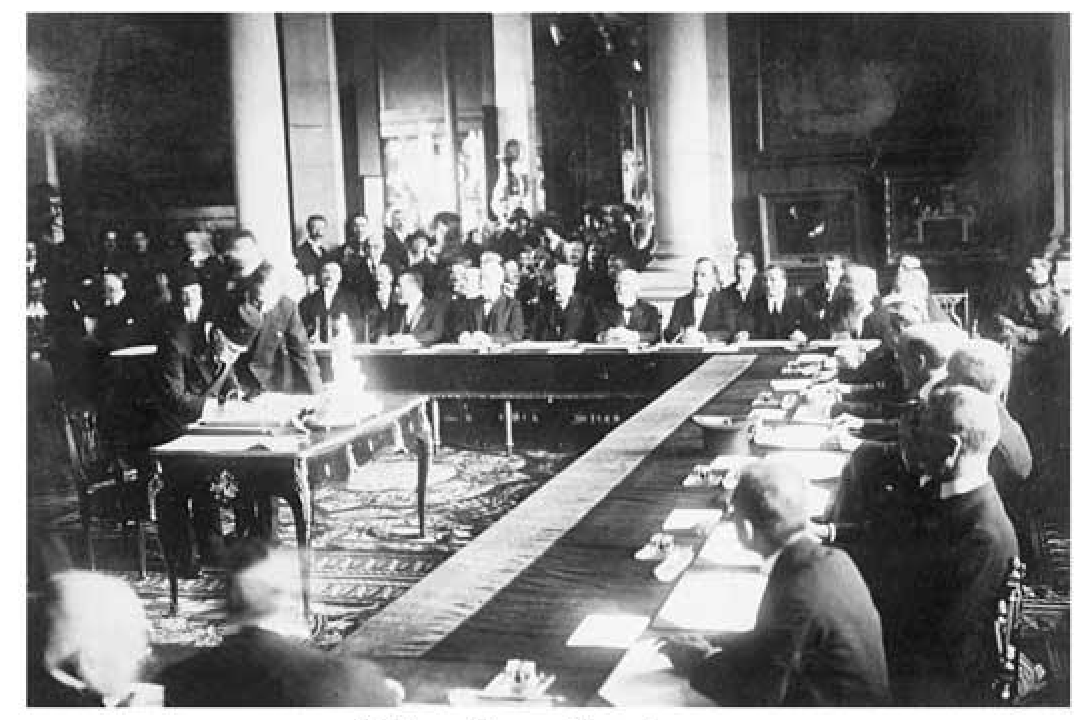
بقلم: د. مروة فوزي شهاب

أولاً: تصاعد الحركة القومية التركية

تطورت حركة المقاومة التي قادها مصطفى كمال في الأناضول بعد هدنة مودروس عام ١٩١٨م إلى حرب أطلق عليها التحرير وتنامي شعور تركي قومي ونظم الأتراك القوميين بقيادة مصطفى كمال معارضه قويه لدول الوفاق بصدد تقسيم الدولة العثمانية، وقام باستقطاب القادة العسكريين، وفي ٢٢ يونية ١٩١٩ م وجه كمال منشور إلى جميع المنظمات الوطنية التركية فحواه أن الأمة في خطر، وأكد بأنه سيقوم ببذل جهده حتى يتم الاستقلال.

نتيجة لأطماع الأرمن في إنشاء دولة خاصة بهم في الولايات الست بشرقي الأناضول، شكل الأتراك في هذه المنطقة تنظيم سري عسكري؛ بأرضروم للدفاع عن حقوق شرق الأناضول وبناء على ما سبق، قطع مصطفى كمال روابطه بالسلطة المركزية.

وتم عقد مؤتمر برئاسة مصطفي كمال وخلاله طالب السلطان بعزله كمفتش للجيش التاسع في ساسون، ونص المؤتمر على أن ولاية طرابزون و ساسون وأرضروم وسيواس وديار بكر و فان و بيتليس هي الولايات التي يطلق عليها الولايات الست، ضرورة الحفاظ على سلامة الدولة العثمانية



معاهدة سيفر ١٩٢٠م

واستقلالها الوطني، كما أن إرادة الشعب مصدر السيادة في الدولة، وأن كل محاولة خارجية تسعي لإنشاء دولة أرمنية يجب التصدي لها، كما أقر المؤتمر بعدم السماح بمنح امتيازات جديدة للمسيحيين بطريقة تغير التوازن الاجتماعي، عدم إكراه الحكومة المركزية في الأستانة تحت الضغط الأجنبي على التنازل عن أي جزء من الدولة العثمانية وتتخذ بمعرفتنا الإجراءات للدفاع عن حقوقناً القومية.

وبعد ذلك، عقد مؤتمر في سيواس عام ١٩١٩م ومثل هذا المؤتمر تحديًا آخر للأرمن وانتخب مصطفى كمال رئيسًا للمؤتمر ومن خلاله أكد على تنفيذ قرارات مؤتمر أرضروم وأثار بعض الأعضاء موضوع تعيين الولايات المتحدة كدولة منتدبه على الأناضول، ولهذا أعلنوا ضرورة العمل على

تماسك أجزاء الدولة العثمانية والمحافظة على الاستقلال الوطني واستخدام القوات المسلحة الوطنية، وتصادف أثناء انعقاد المؤتمر وجود اللجنة الأمريكية لتقصي الحقائق التي أقرها ويلسون، وأكد كمال بأنه لن يقبل أي انتداب على الأناضول، كما أعلن الكماليون بأن الأرمن العدو اللدود لهم.

وحاول السلطان إلحاق الهزيمة بالحركة الكمالية بوصفها حثالة اتحادية متعطشة للنهب، وفي أواخر عام ١٩١٩م أجريت الحكومة العثمانية انتخابات عامة لسحب البساط من تحت أقدام الكماليين، وفي ٢٨ يناير ١٩٢٠م وافق مجلس النواب الذي تكون من قوميين معارضين لهيمنة دولة الوفاق على الدولة العثمانية على الميثاق الوطني الذي تدور خطوطه حول بطلان تجزئة الأراضي العثمانية ورد ولايات قارص و أردهان إلى الدولة العثمانية.

في هذه الأثناء، اقتحمت بريطانيا البرلمان واعتقلت شخصيات كبيرة وبعدها صار مجلس النواب يتمتع بسلطة استثنائية وأصبح يسمى حكومة الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا واجتمع النواب في أنقرة على هدف واحد الحفاظ على تماسك وحدة الحركة التركية الوطنية، وبهذا تشكلت بأنقرة حكومة وطنية تركية منافسة للحكومة السلطان وانتخب مصطفى كمال رئيسًا لها .

ثانيا :معاهدة موسكو الأولي

قام مصطفى كمال بطلب المساعدة من البلاشفة الذين يحاربون نفس الخصوم، وأكد لهم بأنهم إذا أمدوهم بالأسلحة والحبوب والذهب سوف يجعل أذربيجان تقف إلى جانبهم ويقضي على الأرمن الامبرياليين فكانت معاهدة موسكو الأولي ٢٤ أغسطس ١٩٢٠ م ، وبموجبها اقترح البلاشفة على



معاهدة موسكو الأولي ١٩٢٠م

الكماليين أن يمنح الأتراك للأرمن بعض مناطق أرمنية الغربية، ولكن رفض الأتراك مناقشة قضية الحدود، وتمخضت المداولات البلشفية الكمالية عن عقد اتفاقية موسكو وبموجبها بطلت جميع المعاهدات السابقة التي أبرمتها الحكومة العثمانية، وقررت أن أية معاهدة مثل سيفر لم توافق عليها أنقرة يجب أن ترفضها موسكو.

ولهذا أمر مصطفى كمال قواته الوطنية بمباشرة القتال بالجبهة الجنوبية الشرقية، وفي أواخر سبتمبر استولى الجيش الوطني على صارغمتش وفي أكتوبر استولوا على قارص وفي نوفمبر أخذوا ألكسندربول، ثم عقدت هدنة في ٣٠ مايو ١٩٢٠م اعتمدت حدود بريست ليتوفيسك.

وكذلك قامت القوات التركية الوطنية بقيادة كاظم قره بكير يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٢٠م ، بهجوم على أراضي جمهورية أرمينية التي كان يقودها الجنرال درو كانليان فاحتلت صارغمتش ثم قامت أرمينية بهجوم مضادًا في منطقة نوفو سليم وأقامت مذبحة، ثم احتلت ألكسندربول ثم واصلت التقدم ، مما اضطر جمهورية أرمينية إلى طلب الصلح.

وقد أنذرت موسكو حكومة أنقرة في ٤ ديسمبر ١٩٢٠م بوقف زحف قواتها شطر العاصمة الأرمنية ، وإنقاذ ما تبقى



معاهدة موسكو ١٩٢١م

من أرمينية، لكن منذ سيطرة الشيوعيين على يريفان صبوا غضبهم على منتمى حزب الطاشناق وطردوهم ، فقام الطاشناقيون بانقلاب أسفر عن طرد الشيوعيين وإقامة حكومة وطنية مؤقتة في ١٨ فبراير ١٩٢١م ، ثم عاد الجيش الأحمر، وانسحب الطاشناقيون إلى زانجزور وتسليم السلطة للأرمن الشيوعيين. هنا أصبحت أرمينية سوفيتية.

آنذاك قلق البلاشفة من فقدان موانئ البحر الأسود وتقربوا من يريفان للتدخل لصالحهم، ولكن الحكومة الأرمنية رفضت أية وساطة بلشفية وآثرت التفاهم مع أنقرة ، وبدأت المفاوضات بين أنقرة وموسكو انتهت بمعاهدة ألكسندربول في ٢ ديسمبر ١٩٢٠م ، وبموجبها تنازلت جمهورية أرمينية للدولة التركية عن قارص وأولطي وقاغزمان الأرمنية، وبناءً على هذا صارت الحدود الأرمنية ـ التركية نهر آراكس بعد أن تقدمت نحوه الحدود التركية شرقًا، كما أقرت جمهورية أرمينية بتنازلها عن ما أعطته معاهدة سيفر في ١٠ أغسطس١٩٢٠م ، وكذلك أقرت بعدم وجود أقلية أرمنية بشرق الأناضول ، وبمقتضي ذلك تنازل الأرمن عن كل ادعاء لهم في الأراضي التركية ووافقوا على إنقاص حجم قواتهم المسلحة بحيث يصبح عددهم ١٥٠٠ جندي؛ للحفاظ على الحدود، وعلى جميع المهاجرين حق العودة إلى ديارهم خلال سنة ، ويجب التصديق على المعاهدة خلال شهر واحد من قبل الجيش الوطني التركي.

وبناءً على ما سبق، تأسس بـ ألكسندربول حزب معارض هو الحزب الشيوعي الأرمني، وكذلك أنذرت الحكومة الروسية السوفيتية الحكومة التركية الوطنية بوقف زحف قواتها على أرمينية ودخلت قوات الجيش الأحمر السوفيتي يريفان لمساعدة ثورة الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية بناءً على طلبهم ، وتم الإطاحة بالثورة المضادة وقامت الحكومة السوفيتية بالإطاحة بالسلطة الموجودة بأرمينية.

ثالثا: معاهدة موسكو الثانية

عقدت روسيا السوفيتية معاهدة موسكو الثانية وهي معاهدة صداقة وتعاون بين روسيا السوفيتية وتركيا الوطنية في ١٦ مارس ١٩٢١ م ، واعترفت بالحدود الشرقية للدولة العثمانية، كما أوضحت بتنازل الدولة العثمانية عن سيادتها عن مقاطعة باطوم لجورجيا على أن يكون لتركيا الحق في استخدام هذا الميناء كجسر في نقل صادرتها ووارداتها بدون ضرائب وأن تتمتع الطوائف بقدر من الحكم الذاتي وعقب ذلك عقدت معاهدة قارص في ٢١ أكتوبر ١٩٢١ م ، وبموجبها خسرت أرمنية ٢٤,٠٠٠كم٢ أي نصف مساحة أراضيها وبهذا انتهت رسميًا أول جمهورية أرمينية مستقلة في التاريخ الحديث بعد حوالي ألف يوم من تأسيسها.

حوار مع الكاتب والمفكر الأرمني السوري آرا سوڤاليان



أجري الحوار/ عطا درغام

الأستاذ آرا سوڤاليان كاتب وباحث ، ومن أشد المدافعين عن القضية الأرمنية ، وهو أرمني سوري يعيش في دولة قطر ، وكان لمجلتنا الغراء لقاء معه حول القضية الأرمنية والأرمن في قطر.

- كيف يمكن الدعوة لفتح الأبواب أمام حوار تركي أرمني جديد يقود إلى وضع حد لهذه المأساة»...؟

- الحد الأدنى الذي سينال موافقة الأرمن أن تكون هذه الدعوة موجهة من قبل الشرعية الدولية "الأمم المتحدة"

لماذا اعتبرت الحكومات التركية السابقة التعامل مع الملف الأرمني حتى الأمس القريب « تابو» محظورًا وغير قابل للنقاش...؟

- تركيا تحاول اللحاق بالركب المتقدم ،وتحاول التمدد والتوسع والظهور بمظهر الدول العظمى ،فهي مثلاً تحاول التوسط لحلّ مشكلة أوكرانيا...وفي الحقيقة فإن اقتصادها متهالك وعملتها تفقد قيمتها الشرائية يومًا بعد يوم، وكل حكومات تركيا السابقة تتعامل مع القضية الأرمنية كتابو محظور لأن الاعتراف ولو كان في الحدود الدنيا سيكلف تركيا تنازلات فهي، ليست في معرض التفكير بالتنازل عن أراضٍ محتلة ،ولا بدفع أي تعويضات لضحايا الإبادة التي نفذها الأتراك بحق الأرمن ؛لأن ذلك إن حدث فهو سيحدّ من نظرتها التوسعية ومساعيها في التطور والتعملق ،حتى ولو كان وهميًا ،ولأنه لا توجد مواد أولية لإنجاز هذا المنتج (الاعتراف بالإبادة) فمن الأفضل التنكر للقصة كلها وكأنها لم تحدث .



الكاتب والباحث الأرمنى السوري : آرا سوڤاليان

لماذا استهدف الأتراك إبادة جنس الأرمن..؟

- تم توريط الدولة العثمانية للدخول كطرف في الحرب العالمية الأولى، ورفض النواب الأرمن في مجلس" المبعوثان" هذا التورّط وحذّروا منه على مبدأ "رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه" ،فالجيش مهلهل وفاسد من الرأس إلى الجذور والجنود يُساقون الى الحرب بالسوط والضرب، وحالات الفرار لا تحصى بسبب انعدام الروح الوطنية في كل القوميات التي تهيمن على شعوبها السلطنة العثمانية حتى في الأتراك، والحرب العالمية تحتاج لمصانع سلاح وهي غير متوفرة في السلطنة، وظنّ إمبراطور ألمانيا العظمى "ڤيلهلم الثاني" أن كل العالم الاسلامي يُدين بالطاعة والولاء للسلطان العثماني، الذي إن أعلن الجهاد المقدس فسينقلب كل مسلمي العالم على فرنسا وبريطانيا، وتم إعلان الجهاد المقدس ولكن الانقلاب المأمول لم يحدث بالمطلق.

كانت هناك جيوش متطوّعة من مسلمي الهند وباكستان وكل البلاد التي تنوء تحت الاحتلال العثماني والأرمن منهم ومعظم أبناء الوطن العربي والمساندين للعثمانيين في شرق أوروبا وكل المستعمرات الفرنسية في أفريقيا ،وكل هؤلاء تم تطويعهم في جيوش الحلفاء، وتم تدريبهم على القتال وتسليحهم ،فحاربوا تحت قيادة الحلفاء وتوقع "فيلهالم الثاني" أن إعلان الجهاد المقدس سيؤدي بهؤلاء للتمرد على فرنسا وبريطانيا ولكن لم يتمرّد ولا حتى جندي واحد.

وكان أسياد المال في العالم كله، وهم حكام العالم الفعليون يستخدمون الذهب والماس والفضة والبانكنوت العائد لهم في إدارة الحرب من برلين وتمويل جيوش القيصر لأنهم بالأساس هم من دفع بالقيصر إلى إعلان الحرب طمعًا في المجال الحيوي الذي يمتد من حدود ألمانيا وحتى موسكو ،وكانوا يحشدون الماسونيين في كل جنبات الأرض لتنفيذ خططهم وأوامرهم،وكانت تكاليف الحرب الأولى أرقامًا خيالية خاصة ،وأن العالم كان يتعامل بالذهب.

ودخل القيصر الروسي بجيشه إلى صاريكاميش، وخرج الجيش الثاني بقيادة أنور باشا لمقابلته وكان الجيش العثماني غير جاهز وقائده انقلابي عديم الخبرة، والجنود بلا أحذية ولا زحّافات ثلج ولا بطّانيات ولا معاطف ،فضاع نصف الجيش في الخيم وبدون قتال .ففي الصباح كانت كتائب السخرة تسحب الجنود المتجمدين في الخيم إلى قبور جماعية، وكانت حصة الجندي في اليوم الواحد رغيف وستة حبات زيتون، في حين جمع القيصر جيوشه من كل الشعوب الذين كانوا تحت علم القيصرية، ومنهم التتر والتركمان والأذر والچورچيون والبيلاروس والأوكران ومنهم الأرمن الروس وهؤلاء لا ينتمون إلى السلطنة العثمانية، ويحملون الجنسيات الروسية وبيوتهم ونساؤهم وأطفالهم في الجانب الروسي ،ويأتمرون بأوامر القيصر والكوزاك وهؤلاء مزودون بمعاطف الفراء والزحّافات وكانوا يطلقون النار في وضع القفز بالزحّافات والدوران، وانهزم الجيش العثماني الثاني وتمت إبادته، واستطاعت جماعة من الجنود الأرمن العثمانيين إنقاذ وزير الدفاع أنور باشا من الأسر واعترف هو بذلك في مذكراته.

ويبدو أن أنور باشا ،وعند التحقيق معه عن سبب الهزيمة قال :"تعرضنا لخيانة فادحة من الأرمن"، ولم يقل أنه خرج للحرب بدون تجهيز الجيش وبدون ملابس ولا مؤونة ولا زحّافات ولا دفء وبعزائم خائرة ومعنويات سيئة، وبأعداد قياسية من مجندي الفرار أو الهروب الجماعي، وأرسل حزب الاتحاد والترقي مندوبين إلى الأحزاب الأرمنية والنوادي والكنائس يطلبون فيها من الأرمن اشياء كثيرة أهمها:

أولاً: تأليب الأرمن الروس ليقتلوا قيصرهم ويحاربوا مع الدولة العثمانية ضد روسيا

ثانياً: تشكيل طابور خامس يخترق خطوط العدو ، وينفذ إلى المؤخرة ويمارس عمليات تفجير وتطويق وقتل ضد الروس.

وكان جواب الطلب الأول: لا ينصاع الأرمن الروس لرغبات الأرمن العثمانيين، وليس للأرمن العثمانيين أي سلطة على ارمن روسيا.

أما جواب الطلب الثاني فكان سؤال هو التالي: مِن مَن؟ سيتم تشكيل هذا الطابور!

وكان الجواب من شبابكم شباب الأرمن، فقالوا للمندوبين: كل شبابنا عندكم في خدمة العلم بسبب النفير العام، وليس في البيوت إلا العجائز والنساء والأطفال وهؤلاء لا يمكنهم عمل طابور لا خامس ولا سادس.

وفي اليوم التالي: لم يبق أحد إلّا وضرب بيوت الأرمن بالحجارة والكل يردد (أرمن كاوور...أي الأرمن كفّار) و (أرمن خاين...أي الأرمن خونة)، وزحفت كتائب الملائكة من الأكراد ونُهبت بيوت الأرمن وسبت نساؤهم وأطفالهم ولم يفطن أحد ليسأل أنور باشا: هل اخترق الأرمن العثمانيون ظهوركم واجتازوا الجيش الثاني وانضموا إلى القيصر وحاربوا معه ضدكم؟ ويبدوا أنه حتى ولو تم طرح هذا السؤال فإن لا أحد يرغب الاستماع إلى الجواب.

وكانت الإبادة قدر لا بد منه خاصة ،وأن الأرمن اكتشفوا أنه تم تجريد شبابهم من السلاح ،وقُتلوا ودفنوا في مقابر جماعية، وفي محاولة يائسة هرب بعض الشباب الأرمن من الموت وشكّلوا جماعات من الفدائيين لم تكن فاعلة ولا مؤثرة بسبب قلة العدد وندرة السلاح، وأبرق الأتراك لحلفائهم الألمان، وأبلغوهم بأن الأرمن قاموا بثورة ،وبدأ حكام الأرض بإكتشاف الحقيقة وأدركوا أنهم اعتمدوا على من لا يُعتمد عليهم، وأن المركب بدأ بالغرق ومعه أطنان الذهب والفضة والأحجار الكريمة وأوراق البنكنوت التي وضعت كلها تحت إمرة دول المحور ،وأهمهم ألمانيا والسلطنة العثمانية، وكانت ثورة الأرمن خطرة جداً لأنها داخل السلطنة وليست كثورة الشريف حسين التي كانت في الحجاز.

وأمر المراهنون الماسون ويهود الأشكيناز وأصحاب صناديق روتشيلد على كل ثرواتهم، وكلّفوا أعوانهم يهود الدونما طلعت وأنور وجمال باشا السفاح عبر محفل سالونيك بتنفيذ الإبادة ضد الأرمن.

وتابع القيصر زحفه، ووصل إلى ڤان وكانت مدينة أرض محروقة وجثث المدافعين الأرمن قد وصلت إلى مستوٍ أعلى من الستائر الدفاعية، وصل القيصر ولكن بعد فوات الأوان، وتابع حتى مدينة سامسون على سواحل البحر الأسود، وتم تهديده وطلب منه التوقف ،ولكنه رفض وقال سأتوقف في إستنبول...فدبروا له انقلاب في موسكو، وكان يترك هناك زوجته وأولاده الخمسة، فعاد إلى موسكو وتم قتله وقتل أفراد عائلته كلهم، أما تتمة القصة فلقد تم حل الجيش الأرمني الفتي وتم تقويض استقلال جمهورية أرمينيا الأولى ١٩١٨ – ١٩٢٠ وزج بكل قادته في السجن فماتوا، ووهب الشيوعيون ١٢٠ الف كم مربع من الأراضي الأرمنية المحررة غلى تركيا، وتنكّر الأتراك لمعاهدة "سيڤر" وخارطة "وودرو ويلسون" التي ترسم حدود أرمينيا الغربية، ونام الجميع تحت ظلال الستار الحديدي السوڤياتي وتحمّل الشعب الأرمني الكارثة وتم قتل ٧٥٪ من الشعب الأرمني .

فيم تتفق ؟ وفيم تختلف الحالتين (الهولوكست اليهودي والچينوسيد الأرمني)؟

ـ أنا لا أجد نقاط اختلاف بين الحالتين بل نقاط اتفاق

ـ ففي الحالتين ينهض مجنون يأخذه جنون العظمة ويتحوّل إلى ديكتاتور يرتكب مجازر بحق العباد، وتزيد فرص النجاح في مسعاه لأنه لم ولن يلقى مساءلة من أحد ، ولا بد أن أهم نقاط التوافق أن وقود الهولوكوست من اليهود ووقود الچنوسيد من الأرمن كانوا يموتون دون أن يدركوا السبب الموجب لقتلهم.

فهتلر المجنون كان يعتبر أن هزيمة الرايخ سببها يهود ألمانيا الذين تمّ اعتقالهم، والذين ورّطوا القيصر بالحرب ثم سحبوا البساط من تحت قدمية وصار المارك الألماني لا يساوي قيمة الورق الذي يتكوّن منه، واستمر في الهولوكوست حتى أيامه الأخيرة، مع أنه كان يدرك أن يهود ألمانيا الذين تم اعتقالهم وعُرضوا على أفران الغاز لا علاقة لهم لا بالعير ولا بالنفير، ولو أن الفرصة سنحت لهم لهربوا إلى أميركا ولم يخطر في بالهم أن هتلر سينتقم منهم بعد عشرين سنة من انهيار ألمانيا القيصرية...أما اليهود الفاعلين والمؤثرين، والذين يريدهم هتلر فلقد حزموا حقائبهم وصناديق ذهبهم وشحنوها إلى نيويورك وشكلوا من هناك ألف ذراع فولاذية ومستعمرة ماسونية بذهب أثريائهم، لا يقوى على معاكستها أحد.

كيف تري مستقبل القضية الأرمنية بعد مرور كل هذه السنوات ؟

أراه بعبارات بليغة وردت في متن اللغة العربية وهي

"لا يضيع حق وراؤه مُطالب" ، "ولو أنها دامت لغيركم ما وصلت إليكم"،" وبين غمضة عين وانتباهتها يبدل الله من حالٍ الى حالِ"

بم تفسر نشاط أرمن الشتات في القضية الأرمنية أكثر من الأرمن الذين يعيشون في أرمينيا ؟

أرمن أرمينيا الشرقية أو الأرمن السوفيات عاشوا أكثر من سبعين سنة في ظل الستار الحديدي وعانوا الترويع والنفي إلى سيبيريا وساخالين، ونجح السوڤيات في كبح طموحاتهم وأمانيهم، ودفعوا ما دفعوا من اجل الاستقلال ،وخاب أملهم بعد أن وهب البلاشفة كل أرمينيا الغربية للأتراك، وتم زجّ أبنائهم في الخطوط الأمامية في كل معارك الاتحاد السوڤياتي، ودفعوا من دماء أبنائهم أكثر من حصتهم بكثير.

وبعد الاستقلال فُرضت عليهم حرب أرتساخ الأولى ،ولقنوا الأذريين دروساً معتبرة ولكنهم لم يتمكنوا من استرداد متر واحد من أراضي أرمينيا الغربية الضائعة ، ولا استطاعوا استعادة أرتساخ بكاملها ولا ناخيتشفان الذين سلخهما ستالين من جسد أرمينيا ووهبهم للأذر...وكالغريق الذي يرفع رأسه ليستنشق القليل من الهواء، تم ضرب رأس أرمينيا بهراوة حديدية في حرب أرتساخ الثانية ،فلقد اتحد العالم كله ضد الأرمن (أذربيجان وتركيا وإسرائيل وأفغانستان ودواعش سوريا والعراق وروسيا التي حجبت عن الأرمن شفرة إطلاق الصواريخ حتى الدفاعية ،وزودت الأذر بها وباعتهم سلاح حديث، وأميركا التي دارت ظهرها للأرمن)، واضطرّوا إلى عمل توسعة في مقابر الشهداء لتتسع إلى ٦٠٠٠ شهيد جديد، نحن نجد لهم الأعذار، فلقد فعلوا منذ الإبادة وحتى اليوم أقصى ما يمكنهم، ويجب أن يلتقطوا أنفاسهم لا أن يقع عليهم اللوم، أما أرمن الشتات فهم شتات ،وليس بيدهم أن يفعلوا شيء فالأمور كلها محسومة ويبدو أن لأسياد العالم طرق في تنفيذ إرادتهم وهم المسيطر الوحيد على كل الأرض وما يحيط بها،ومقارعتهم توصل إلى نفس النتائج التي وصل إليها الأرمن من بداية مصائبهم وحتى اليوم.

ما تعليقك علي الأحداث في كاراباغ؟ وهل تؤيد ما انتهت إليه الأحداث في كارابا غ..؟

لنفترض وجود شارع كبير في مكان ما من الأرض وله رصيفين، رصيف على اليمين ورصيف على اليسار، ويحتشد كل أرمن العالم على الرصيف اليمين وكل شعوب الأرض الآخرين على الرصيف اليسار، ويصرخ الأرمن من على الرصيف اليمين: أرتساخ لنا اسألوا السيد المسيح والحواريّن،من أرتساخ نشرنا الديانة المسيحية في أرجاء المنطقة وجعلنا من الجورجيين مسيحيين ،وأيضاً جعلنا من الروس مسيحيين، وكنا أول المسيحيين وقبل روما عاصمة المسيحيين.

ـ ويأتينا الصراخ من الرصيف الثاني ،اصمتوا أنتم كاذبون ! ويصرخ أصحاب الرصيف اليمين اسألوا الكنائس والأديرة في أرتساخ فلقد بنيناها وحملنا حجارتها على ضهورنا منذ بدايات المسيحية

ـ فيأتيهم الجواب لا أبداً هذه أرض أذرية ،وهذه كنائس أذرية وأديرة أذرية وأنتم كذّابون!

ـ فيقول أصحاب الرصيف اليمين،أذربيجان لم تكن معروفة قبل الاتحاد السوڤياتي وعمرها الآن لا يزيد عن المائة سنة، وعمر أميركا لا يزيد عن الخمسمائة سنة وتركيا مثلها، وعمر إسرائيل لا يزيد عن الـ ٧٥ سنة، والآذريون جاءوا كالجراد من صحارى منغوليا وذبحوا الأرمن وأخذوا أرضهم والأتراك قبلهم وفعلوا مثلهم.

ـ ويأتينا الصراخ من الرصيف الثاني،اصمتوا أنتم كاذبون !

ـ ويصرخ أصحاب الرصيف اليمين لينين وستالين هما أصحاب نظرية التمازج الاقليمي بين شعوب الاتحاد السوڤياتي وستالين بالذات هو الذي قطع أرتساخ وناخيتشفان ووهبهما لأذربيجان بعد إبادة سكان الإقليمين، والآن تم شحن أصنام لينين وستالين بالرافعات وأخذت الى المزابل، وتم تفكيك قبر لينين النجس بعد أن كانت لا تتم حفلات الزفاف للشباب إلّا في ظلاله وفي مباركة قبره، فلمذا تتساوى قرارات ستالين ولينين مع المزابل ويتم البصق عليها كلها، ويتم بالمقابل تقديس قرار ستالين المتعلق بارتساخ وناخيتشفان ؟؟؟

ـ ويأتينا الصراخ من الرصيف الثاني ،اصمتوا أنتم كاذبون ! وبالتالي فلا يمكن إجراء مناقشة حول الموضوع إذا كان جواب العالم كله صراخ من الرصيف الثاني، اصمتوا أنتم كاذبون !

بالطبع أنا لست راضٍ عن ما وصلت إليه الأمور في أرتساخ ،ولكن من هذا الذي سيهتم لرأيي لطالما أن هناك أنابيب غاز ونفط تذهب من أذربيجان وتجتاز كل أرمينيا وتصعد شمالاً لتدخل إلى الأراضي الجورچية ومنها الى تركيا دون المرور بأرمينيا ولا حتى بشبر واحد،بالطبع سنكون كذّابين وعلى طول الخط.

ما مدي مسئولية نظام أردوغان عن سفك الدم السوري ؟ وهل تري فيه تكرار للجرائم العثمانية؟

ابنتي الكبيرة وهي تدرس الرياضيات العالية هنا في قطر وتأمل بأن يتم إيفادها إلى أميركا لمتابعة تحصيلها العلمي هناك بسبب تفوقها الاستثنائي،لديها الجواب على هذا السؤال :

لقد كانت بعمر السنتين وربما أقل،جاءت إلى سريري وصارت تقفز وطلبت منها التوقف فلم تتوقف فوقعت وارتطم رأسها بظهر السرير، فبكت واحتضنتها وصرت أضرب ظهر السرير بيدي اليمين، فتوقفت عن البكاء ونظرت بإتجاهي نظرة فيها كل الاستغراب وأشارت بيدها لتفهمني شيء فهمته بسهولة ،فلقدكانت تحاول أن تقول: لماذا تضرب السرير وانا الذي ضربته وليس هو!

دعني أخبرك بسر يا صديقي (لقد قتل السوريون بعضهم)،أما الجرائم العثمانية فهي لا تتكرر وبحقوق ملكية لهم وحدهم ولا تخصّ غيرهم.

هل تري أن انشغال العالم بالصراع في أوكرانيا أضر بالقضية الأرمنية، وصرف أنظار العالم عن الاعتراف بالإبادة الأرمنية.؟

لا أبداً وبالنسبة لي فلقد شبعنا اعترافات، كل هذه الاعترافات لم تفيدنا بشيء، ولم تحرك ساكنًا ولن توصلنا إلى حقوقنا، تذكّر موقف المحتشدين على الرصيف اليساري، ولكن أقول أنني لم أتوقع أن يحدث ما حدث على الإطلاق ؛فالشعبان الروسي والأوكراني حاربوا في معركة الوجود معًا والأرمن حاربوا معهم، وامتزجت دماؤهم جميعًا من موسكو إلى ستالينجراد وحتى برلين عندما زرع أحد الرقباء الأرمن علم الاتحاد السوڤياتي على قبة الرايخستاچ، وبالتالي، فإن الذي حدث هو عار يُطال كل الأطراف المتقاتلة التي لم تهتد الى حلّ أقل همجية من الحل الذي اختارته.

هل يمكن للأرمن اللجوء للمحكمة الدولية من أجل الاعتراف بالحق بالمجازر التي ارُتكبت بحق الأرمن ؟

أعتقد أن الأمر وارد ولكن مستبعد، لأن المحكمة الدولية أداة من أدوات اسياد العالم، وهي لا تملك أن تنفذ أحكامها، وبالتالي فإن الفائدة المرجوة معنوية وغير حقيقية، فمصيبتنا تحتاج للحل وليس للحلول المعنوية خاصة وأن هذا الحلّ المعنوي مكلف للغاية.

فيجب على الجهة المدّعية دفع التكاليف كلها مقدمًا

والآن دعني أهمس في أذنك: ما الفائدة من محكمة لا يتم تنفيذ أحكامها؟ الجواب: مفيدة بقدر فائدة بطاقة الڤيتو التي ترفع في مجلس الأمن.

ماذا يعني الاعتراف التركي بالإبادة الأرمنية ؟

هو المقدمة لأمور ستأتي بعد هذا الاعتراف فنحن بالنسبة لنا نعرف ما حدث لشعبنا من ظلم لا تحتمله الجبال أما الطرف الآخر فعليه أن يسير في طريقين:

الأول السعي للرفق بضمائر الشعب التركي، تلك الضمائر التي لا تزال تلحّ على أصحابها بأن هناك جرائم مروّعه ارتكبها الأتراك بحق شعب مسالم هو صاحب الأرض الأصلي قبل الغزو والاحتلال، لم يتمَّ التكفير عنها، والكل يدرك (والكل هم من المثقفين والاطباء وأساتذة الحامعات وبمعنى أدق مجموعة تينير أكتشام)، الكل يدرك أن هذا الأمر حجر عثرة يؤدي إلى إختفاء الدرجة الأولى من سلم التطوّر والتحضر الذي يسعى الأتراك جاهدين إلى صعوده للوصول إلى صفوف العالم المتقدم، والكل يعلمون أن هذا الصعود غير ممكن بعد تغييب الدرجة الأولى من هذا السلّم.

أما الطريق الثاني فهو طريق النعامة التي تدفن رأسها في الرمل...فتعتقد أنها تخلصت من كل متاعبها !

هل مايحدث في كاراباخ من استهداف للأرمن هو استكمال لإبادة الأرمن ؟

نعم فهناك مواقف يندى لها الجبين ،فلقد وقع في يدي ڤيديو فيه شاب أذري يحاول ذبح كهل أرمني ،ولكن هذا الفيديو مقطوع ولم نعرف النتيجة، وهناك حالات كثيرة من الاضهاد الذي وقع على كبار السن في أرتساخ ، وهؤلاء لم يتمكنوا من مغادرة أرتساخ ومنهم من رفض أصلًا ترك أرضه، بالإضافة إلى تدنيس المقابر واقتلا ع الشواهد وتكسير الصلبان وعلى مبدأ جئناكم بالذبح، هذه المقولة التي لا بد أن تمجّها البشرية في يوم من الأيام ، وقد ابتلى بها الأرمن منذ الأزل ولغاية اليوم.

في الذكري ال١٠٧ للإبادة الأرمنية،ماذا تقول للشعب الأرمني، وأيضا للضمير العالمي ؟

صمدت القسطنطينية وحجارتها حتى اليوم وتشرد شعبها في أرجاء الكون ولم يعد إمبراطورها ولكنها لازالت باقية وحجارتها باقية وآجيا صوفيا تشهد على ذلك وكل العالم يدرك الحقيقة ولكنه يملك ألسنة خرساء، أما ما أقوله للضمير العالمي فلقد سبقني عليه سيامانتو إذ قال " أيها الضمير العالمي تعال لأبصق في جبهتك"

ـ هل هناك تواصل بين الأرمن في قطر ؟ وماذا عن أنشطتهم؟

ـ نعم هناك تواصل بينهم رغم قلة عددهم، أما عن أنشطتهم فهي ثقافية وكالعادة يستأجرون أكبر قاعة حفلات في أفخم الفنادق ويحييون الحفلات في جوّ أرمني تعوّدوا عليه في البلدان التي جاءوا منها

ـ هل يجد الأرمن حرية في ممارسة شعائرهم وأعيادهم في قطر؟

إلى أبعد حد فأنا أتحدث عن ما رأيته هنا في قطر، لدينا مجمع أديان فيه الكثير من الكنائس ورجال الدين ومن كل الطوائف (أرمن وروم كاثوليك وارثوذوكس وبروتيستانت وأقباط ولدينا رجال دين من الفلبيين ورجال دين من أفريقيا ولغة التفاهم المشتركة للجميع هي الإنجليزية) وكلّهم جاءوا من شتى أرجاء العالم ، وفي المجمع صالات للحفلات وتيراس ضخم تتم فيه الصلاة في العراء ،وللإنسان مطلق الحرية في ممارسة شعائره وتقدم له الحماية التامة وكل الأماكن مكيّفة ومخدّمة بطريقة حضارية لم أرها في أماكن أخرى.



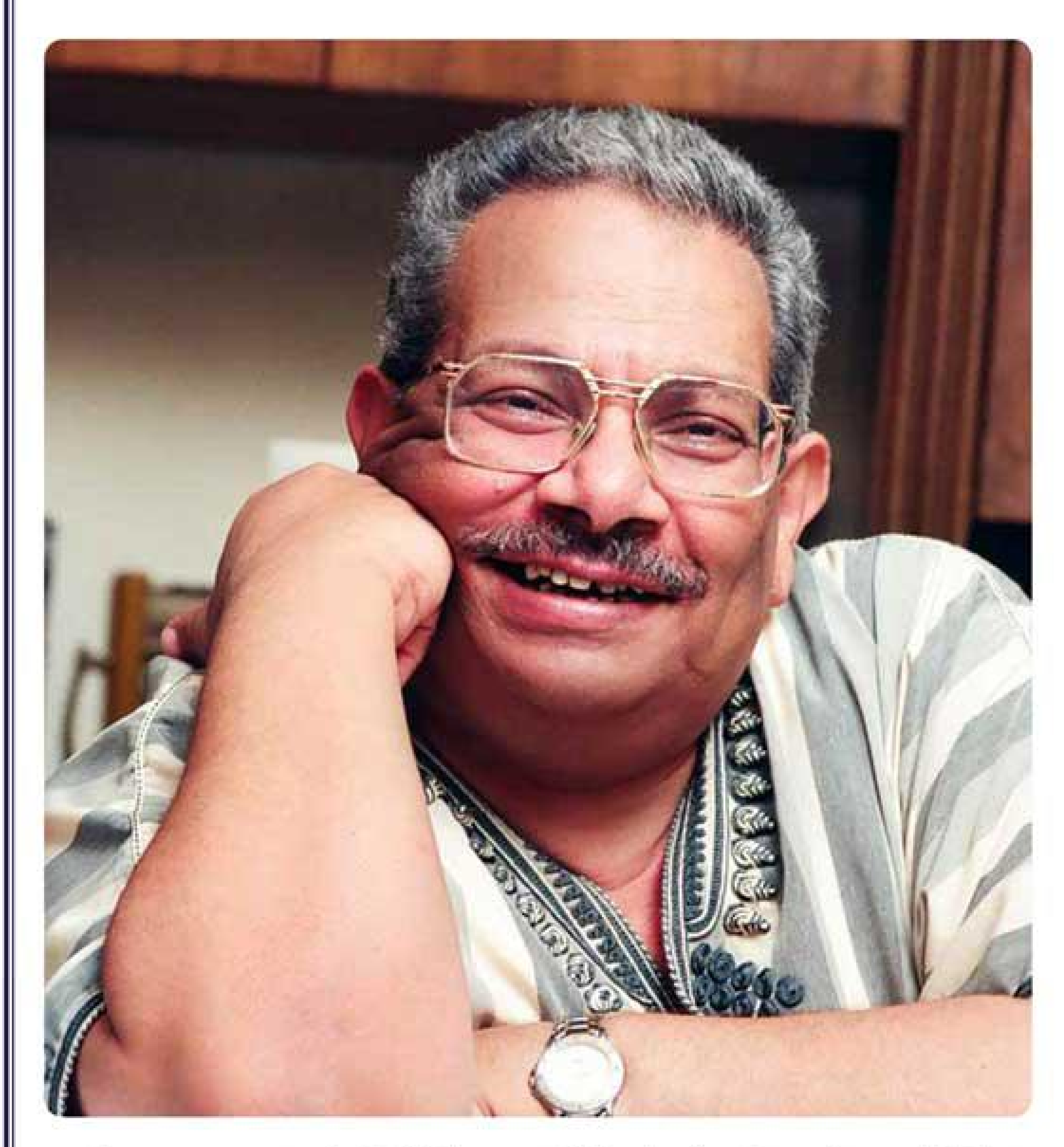
المصراوية .. أو كيف تبني سلطة من المبتدأ سرد بصري داخل وجدان سلطة وليدة بشنين عكاشة نموذجاً

بقلم: أ/ أحمد محمد إنبيوه

قليلة هي الأعمال التي جعلت من التخييل التاريخي مادة لعملها على نحو كفء تماماً؛ فليس سهلاً المزج ما بين الدراما المكتوبة أو المشاهدة وما بين التاريخ بنسيج لا فجاجة فيه أو تزيّد أو انتصار لصالح الدراما على التاريخ أو تقديم دراما جافة بزعم التقيد بالحقيقة والراوية التاريخية الصحيحة، وقليلة هي الأعمال التي استطاعت فعل هذا. وما بين التاريخ والدراما وشائج ممتدة أعمق مما قد نتخيل للوهلة الأولى؛ إذ حاولت الدراما التاريخية دوماً جعل التاريخ منثوراً بنعومة في نسيجها البصري. جوهر التاريخ الصراع في فضاءات الزمان وعلى أرضيه مكانية، وهذه هي الثلاثية المتحكمة عموماً في العملية الدرامية سواء أكان سرداً مكتوباً أو بصرياً مشاهداً. غير أن التاريخ لا يحفل كثيراً بتطور الخط الزمني هابطاً كان أو صاعداً، عكس الدراما التي تجعل من الزمن وتقدمه عنصراً محورياً في تطور الدراما واجتذابها لوجدان المشاهد.

التاريخ متداخل بشكل ناعم أو لنقل مدفون في السرود الدرامية التي انتجها لنا على مدى سنوات وسنوات أسامة أنور عكاشة.

وغير خاف اهتمام عكاشة بالتاريخ في كتلته الخام أو بمحاولات تضفيره بمنتجه الدرامي.



الكاتب والروائي أسامة أنور عكاشة (١٩٤١ - ٢٠١٠)

تاريخ المكان والناس. ففي ليالي الحلمية على سبيل المثال نرى تأريخاً اجتماعياً للصلات ما بين مكونات المجتمع المصري ما قبل ١٩٥٢ كبار الملاك الزراعيين "الأعيان" وكبار الصناعيين، تاريخ للصراع السياسي والاقتصادي بين تلك الطبقات وكذا الصراع بينهم وبين سلطة الحكم سواء القصر أو المحتل الإنجليزي. وكان ذلك ممثلاً في الصراع الدائم بين سليمان غانم وسليم البدري. وهو الصراع الذي ساد منذ الأربعينيات وحتى سبعينيات القرن العشرين.

ويمكن القول إن عكاشة حاول في أغلب سروده التلفزيونية صنع سبيكته الدرامية معتمداً على التاريخ جوهراً وإطاراً لا أحداثاً وتفاصيلاً دقيقة. وفي عمل آخر لعكاشة كـ زيزنيا نري قدرة عكاشة على إنتاج دراما استطاعت أن تقدم لنا صورة متعددة الوجوه من الوطني المصري الأصيل إلى الكوزموبليتان. في زيزنيا رأينا وجهاً آخر لقدرة عكاشة على استغلال الدراما في الحفر عميقاً في روح مدينة الثغر ووجدانها المسكون بأحلام الاستقلال والنهضة الوطنية. ورأينا كيف تكمن هوية المدينة المتشظية تحت جلد كل واحد من أهلها. اسكندرية زيزنيا تجسيد لرغبة عكاشة في بناء عالم درامي للمدينة الكوزموبوليتان التي تبحث عن هويتها واستقلالها في آن. اسكندرية كمدينة فريدة في النسيج المصري واسكندرية المتصلة بكامل وجدان المحروسة على امتداده من قبلي لبحري. وإذن كان التاريخ حاضراً في دراما عكاشة كـ موتيف إنساني مضفور في حيوات شخوصه وقد استمر هذا الحضور التاريخي الإنساني في سرديات عكاشة التلفزيونية حتى أواخر أعماله. فقد أظهر عكاشة في ختام أعماله "المصراوية" والمنتجة عام ٢٠٠٧ لجزئها الأول والثاني في ٢٠٠٩. كانت "المصراوية" تجلي لرحابة التاريخ المتسعة الحاملة لكل الأفكار التي قد تبدو معقدة للوهلة الأولى لكنها لدى كاتب مثقف ومتمكن من أدواته كأسامة أنور عكاشة تغدو مادة مواتية للغزل. الأحداث تدور في قرية بعيدة هناك في أعمق أعماق ريف الوجه البحري في كفر الشيخ على سبيل التحديد في قرية بشنين. حيث بدايات القرن العشرين، حيث تبدأ رحى الأحداث في الدوران متزامنة مع منتصف الحرب العظمى الأولى "الحرب العالمية الأولى". الحدوتة تبدو وكأنها صراعاً على العمودية فهل كانت كذلك حقيقة؟ هل كان الأحداث تدور حول الصراع حقيقة.



في هذا العمل ظهرت قدرة عكاشة الباهرة في التضفير السلس ما بين فكرة نظرية وحدوته تجسد تلك الفكرة في بناء درامي محكم ومتقن. الفكرة النظرية كانت، كيف تبنى السلطة، كيف تؤسس استراتيجيات السطوة؛ أي كيف تُمارس تلك السلطة وتؤتي أكلها بطاعة وخنوع الجميع وإذعانهم؟ ما أسهل الحديث عن ممكنات فرض الإذعان، لكن آنى بإمكانية تحقيق هذا. تلك قراءة أو وجه من وجوه امتصاص "المصراوية" لأسامة أنور عكاشة.

وجوه السلطة هم أطراف الصراع القادرين على حسم عمليات الاقتتال الداخلي على الكرسي الكبير، هم أبناء الصمت والعمل في الظل والثورة في الخارج، هم المتآمرون وأصحاب الحق، هم الكثرة والأقلية، هم الحائزين الأصلاء لممكنات القول والبوح في فضاء عام يتم تلجميه لصالح الواحد صاحب القول الأول والأخير الرجل الكبير صاحب الكرسي وصاحب السلطان ومبدأ النفوذ ومنتهاه. وهو في حالتنا هذه العمدة "عمدة بشنين". أي ببساطة "فتح الله الحسيني"، فمن هو الرجل صاحب الأمر والنهي القول والفعل في العلن والخفاء، العقل والقوة، الغضب والهدوء. من هو "فتح الله الحسيني"؟. لنكتشف ذلك بعد قليل. لكن لنبحر أولاً في ميكانيزمات عمل السلطة من حيث المبتدأ في بشنين عموما، وبعد وصول فتح الله لامتلاك كرسي العمودية.

كل حكايات السلطة تبدأ بوجوهها كما استبان آنفاً وكما سنراه أكثر جلواً تالياً. هناك حيث المصائر التي تحاك في الظل، وظل يكمن فيه الحالمون بالعمودية. وجوه تُظهر الدعم وتُخفي الغدر ليوم ريثما تسن كل الأنصل الحادة حتى تأتي غيلة للحاكم العمدة. فما الحكم في الأنظمة السلطوية إلا غيلة. في تلك الأنظمة من يسبق بالمؤامرة أو بالغدر أو بغيرهما ربما حالفه الحظ بالوصول لمبتغاه بالكرسي، العمودية في حالتنا هذه.

فتح الله الحسيني، صابر الحسيني، ست اخواتها، الأميرة نوراي، خضرة، الجازية، عباس السخاوي وابن أخيه بكر، شاهر وعبد الله إخوة العمدة، الأخ الأصغر حسن الذي جعل منه عكاشة راوياً للأحداث، الأخت رضوانه. السخاوية.. الحساينة.. القيروانية: صراع السلطة والنفوذ والهيمنة الدينية والروحية. صراع البيوتات الكبيرة كمظهر لصراعات الجماعات السياسية والتكوينات القبلية والمناطقية في المجتمعات ما قبل الحداثية. كل هؤلاء أراد بهم عكاشة أن يجعل الدراما متجاوزة الأطر الإنسانية التقليدية، بل هم بشر يمثلون أوجه الصراع على السلطة سواء كان صراعاً معلناً أو مكتوماً أو حتى في اللاوعي.

كيف تبنى سلطة ما من المبتدأ، كيف تتم التحالفات وكيف تدار هذه التحالفات؟ بأي طريقة يمكن بها استمالة هوى وقلوب وعقول بل ووجدان ملح الأرض، ومتى تتحول محاولات الاجتذاب إلى استخدام العنف المخفف لصالح تحقيق الهدف الكبير؛السيطرة عليهم عقلاً ووجداناً، ثم استخدام النعف بذاته وبعينه لضبط تململات الكتلة الجماهيرية الخام وعضباتها الصغيرة التي قد تؤدي تراكماتها إلى الوصول للغضب الكبير الذي قد ينتهي بثورة في بعض الأحيان.. كيف أدار الحاكم الجديد "العمدة" علاقاته المعقدة مع أهل المحروسة، ثم كيف كانت العلاقة بالأساس بأصحاب السلطة في المحروسة؛ علاقة تلك القرية البعيدة في قلب الريف بالقلب النابض الساكن في المحروسة.

"علواني أبو حجر"، الحويط الذي يرى في نفسه حاكماً لأمن بشنين بل ماسكاً لكل الخيوط مقدماً فروض الطاعة للحاكم صاحب كرسي العمودية أياً كان من هو.

سمت الأمن في النظم التسلطية تبديل ولاءتها حسب الممسك بأعنة السيطرة وأعصاب السطوة. بدّل علواني ولاءه مباشرة من العمدة القديم إلى العمدة الجديد الذي قفز إلى كرسي العمودية في غفوة من الجميع. شيخ الغفر عنوان اللعب على كل الأحبال والأكل على كافة الموائد، الرجل الذي يحاول الحفاظ على رأسه وسط كل العواصف الهوجاء. آنى لرجل الأمن أن يبدل ولاءه، أمن منطق ولاءاته السياسية أم بمنطق مصالحه الشخصية؟.

في كل العصور تتوحش سلطة الأمن تحت مسمى الحفاظ على النظام، هكذا كانت تسير الأمور مع سلطة علواني أبو حجر التي تمددت كثيراً لتأخذ في "عبها" كامل زمام بشنين وما جاورها. لهذا فهذه شخصية تستحق أن نتوقف لديها كما حدث آنفاً.

"شاهر الحسيني"، أخو العمدة، النزق المتهور المنساق غالباً وراء شهواته ونزواته، الفرِح بسلطة أخيه والعائش في نعيم ميزاتها. هذا الشاب غير المسؤول مُنح وللمفارقة سلطة تسيير الأمور "قائم مقام العمدة" لبرهة من الزمن لكنها كانت كافية لتتحول البلد إلى كتلة من اللهب وكأنها عائمة

على بركان.وجود شاهر حاكماً وعمدة كاد أن يذهب بالبلد لحافة الانفجار والثوران.
هذا ببساطة ينبئنا عن النظم التسلطية التي تتمحور حول فرد، وما يلبث هذا الفرد أن يتعامل مع السلطة بمنطق الإرث العائلي فيعطي هذا المنصب لهذا من أفراد عائلته وذاك المنصب لذاك من محاسيبه أو مشاديدة. إنها قوانين السلطة وميكانيزماتها في العالم الثالث يا صديقي. السلطة في البدء تذهب لمن غلب، ثم في المنتهى تدار بمنطق غنيمة الحرب. وكأن لا وجود لقوانين وعباد وبينهما من يسهر على مصالحهم. هي سلطة يملكها رجل جل امتيازاته كونه حائزا لقدر هائل من سيطرة تجيز له التحكم في الرقاب والعباد والمال والحال.
"صابر الحسيني" المنازع للعمدة فتح الله على كرسي العمودية، الذي كان يرى فيه حقه المكتسب بما أنه الأبن والوريث للعمدة السابق. سلم في البداية كما يرى كل سياسي التيار عالياً فيخفض الرأس ريثما تحين الفرصة فينقض من جديد محاولاً استعادة المنصب الذي دار حوله صراع دام، إنها صراعات السلطة التي لا تنتهي قط بوصول أحد المتصارعين، بل في بعض الأحيان تبدأ، صراعات المال والنفوذ والسطوة، صراعات البيوتات لا الأفراد، صراعات الغنيمة الكبرى؛ منصب العمودية. منذ الوهلة الأولى عمل "صابر الحسيني" على نسج خيوط تحالفاته لتحيط بالعمدة فتح الله من كل جانب. لتنتهي محاولته الأولى بالفشل والنفي إلى جزيرة العاصي، ولنلاحظ دلالات الأسماء عاصي لمن؛ عاص للسلطة بكل تأكيد. وتنتهي المرة الثانية كذلك بالفشل، وصولاً للمرة الأخيرة. التي انتهت بوصوله للكرسي بعد الاختفاء الغامض لفتح الله.
أما نساء النخبة الحاكمة في بشنين. فيمكن بدء الحديث بست اخواتها، التي لم تكن فقط مجرد أم للعمدة، بل لا نجاوز الحقيقة حينما نقول إنها هي التي وضعت العمدة على الكرسي، سابقة بهذا كل الصراعات، التي كان من المنتظر ألا تبدأ أصلاً – على الأقل في وقت قريب؛ لوجود وريث للعمدة السابق يعد نفسه بكل بساطة لتولي الأمور. لكن كان وجود ست اخواتها كفيلاً بقلب كل المعادلات والتوازنات؛ فقد عملت بسرعة على تهيئة الأمور وأخذ ما يشبه البيعة لوليدها وتأمين موافقة غالبية النخبة والأعيان لوصول فتح الله لكرسي العمودية. ثم كانت نصيرة العمدة المعنوية وأحياناً المادية في مسيرة فتح الله لتأسيس وجودة الصلب في فضاءات السلطة التي كانت هشة، فكانت ست اخواتها هي الأرض الثابتة التي يلجأ إليها فتح في زمن البدايات السلطوي الموسوم بالرمال المتحركة. وبالمناسبة هذا سمت البدايات في زمن الصراع؛ أي الالتجاء إلى كل أرض ثابته من دوائر الثقة الأقرب من أهل أو أصدقاء أو زملاء الدفعة خاصة لو كان حائز السلطة الجديد مرتدياً الكاكي.
واتصالاً مع نساء الصراع على السلطة نرى أحد الأشياء التي وسمت المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين، أي الاعتداد بالنسب والمصاهرة والنساء عموماً كرافعة اجتماعية والأداة الإنسانية الأنسب للارتقاء والانتقال لطبقة أخرى. حينما أراد فتح الله تعضيد مكانته بالثقل المالي والمعنوي، وليس أثقل من امتلاك الأرض يضيف مكانة اجتماعية كبيرة. ولما وجد في الزواج إمكانية مثلى ليتعاضد الثقل والنفوذ الاقتصادي بالارتقاء الاجتماعي، لم يتردد لحظة في السعي لإتمام زيجة مقترنة بامتلاك أراض التفتيش الموجودة في زمام بشنين .
تحالفات العمدة كان مناطها تدعيم استقرار سلطته

الجديدة والخروج بها من خانة الوليد الجديد إلى خانة المستمر التليد. وكانت النساء أهم أدواته لتحقيق هذا الغرض.

ثم من المنطقي أن نصل بالحديث عن الوجوه البشرية للدراما التلفزيونية الأخيرة لأسامه أنور عكاشة المصراوية. كان من الطبيعي أن تنتهي رحلة عكاشة الإبداعية لدى البطل الأيقوني في أغلب أعماله البطل السيزيفي المقاوح الباحث عن ذاته المنشئ لكينونته من هويات متناقضة ومتباينة. ولنحاول أن نتذكر بِشر في زيزينا وانتمائه إلى عالمين يكادان ألا يلتقيان إلا عبره هو. وحسن ارابيسك الذي كان يعاني من أزمة وجودية ما بين انتمائه لتراث وثقافة ومنظومة قيمية وأخلاقية تكاد تنقرض في مواجهة حداثة غير مكتملة تجرف كل ثابت في التربة المصرية. إلى علي البدري في ليالي الحليمة، الحالم أبن ثورة يوليو بكل أحلامها الكبيرة التي تكسرت على صخرة الهزيمة في ١٩٦٧، فحدث التحول للنقيض في زن الانفتاح. وهكذا كانت أغلب الشخوص الأيقونية في دراما أسامة أنور عكاشة تبحث عن ذواتها المفتقدة في الفضاء مصري عام كان بالتوازي يبحث عن مرسى خلال كل تلك السنوات منذ بدايات القرن العشرين، يبحث عن استقلال وهوية متماسكة ووطن يحتوي أحلام أبنائه. إذن كان بطل أسامة أنور عكاشة هنا أيضاً في "المصراوية" بطل مصري بامتياز يحمل في تلافيف وجدانه هم وطن عبر همومه الشخصية والذاتية. كما كان بطل الراية البيضاء من قبل، نموذجاً أيقونياً على البطل المسكون بالهم العام، البطل الذي يختزل في رحلته شريحة من تاريخ وطن. "فتح الله الحسيني" ليس بعيداً عن البطل نموذج البطل الأيقوني هذا وفق الهوى العكاشي؛ بطلنا على قدر بحثه عن تدعيم سلطته، كان متماهياً مع أحلام وطنه وطموحاته. وكان يفعل هذا في سياق فضاءات زمنية مضطربة سياسياً وفكرياً. فلم تكد مصر تخرج من الحرب العالمية الأولى بكل تداعياتها السلبية على البنى الاجتماعية الأضعف ناصراً والمطحونة اقتصادياً، حتى وجدت ذاتها تسير في طريق حتمي للمطالبة بالاستقلال عن بريطانيا. فوجد "فتح الله" نفسه باحثاً عن تدعيم سلطته في ظل وطن يبحث عن ذاته سياسياً. فمن هو فتح الله. "فتح الله الحسيني"، شاب من أعيان بشنين والموعود بالعمودية كما كان أبيه من قبل. راجح العقل يشي بالكثير بمجرد أن تراه لأول وهلة. ترى في عينيه الحلم والعزم القوة والرحمة الطيبة وجبروت السلطة. به متناقضات كل من يلي السلطة دون إعداد مسبق. تلك كانت الحدود الخارجية التي رسمها أنور عكاشة لبطله. ومن ثم نعود ثانية لآليات بناء السلطة التي عمل عليها فتح الله. منذ اليوم الأول. أراد عكاشة أن يجعل من فتح الله ليس مجرد رجل سقطت بين يديه ثمرة السلطة سهلة لينة دون سعي منه أو طلب، بل رجلاً اختار أن يكون صاحب السلطة الحقيقي وليس مجرد مقتنصاً لفرصة آتية دون جهد أو سعي حقيقي. فتح الله كان رجل الأقدار بوجهة نظر البعض من أعيان بشنين. ومن ثم، عمل فتح في البدء دار حول إثبات جدارته بالعمودية عبر سلسلة من التحالفات والمصاهرات، وذلك مع بعض العنف وكثير من السياسة والدبلوماسية. فماذا إذن عن الدم، قرين أي صراع على السلطة في أي زمان ومكان، هل وجد في صراعات العمودية في بشنين؟

لعب الدم؛ مسفوحاً ومراقاً ومهدراً، دوراً مبرزاً في تطور



الأحداث، وهذا بالطبع من كلاسيكيات عمل الأنظمة السلطوية الالتجاء إلى الدم لتسيير عجلاتها وتسهيل دورانها وبث نوع من الرعب في قلوب وعقول الخاضعين لها. وذلك حتى يستمر الخضوع دون تساؤلات كثيره عن ماهيات أو مآلات تلك السلطة ومراميها من الخاضعين لها. ورغم استنكاف فتح الله للدم المراق، لكننا رأينا أن اعتراضه لم يكن على مبدأ إراقته بل على الكمية المراقة منه على سبيل التحديد.

فالدم برأيه كان وجوبياً؛ في سبيل ضمان استقرار سلطته وضمان ألا ينازعه فيها أحد من سخاوية الزاوية أو غيرهم بخاصة عندما هبطوا على ميت السخاوي كالغربان حسب توصيف فتح الله نفسه، سعياً للثأر لمقتل شابين من أبناء أعيان السخاوية على يد عبد الله أخو العمدة. بينما كان فتح الله يرى أن سعيهم بالأساس ليس للثأر وإنما لامتلاك بشنين بأكملها. وفي أحد الحوارات التي دارت بينه وبين عباس وابن أخيه بكر شبه وصولهم لميت السخاوي وبشنين عموماً بوصول الإنجليز لبر مصر محتلين غاصبين لكل ما ليس لهم، هكذا كان الحال مع سخاوية الزاوية كما كان يرى العمدة فتح الله. هبطوا دون سابق إنذار راغبين في امتلاك زمام البلد بأكمله وليس فقط موقعهم الأساسي ميت السخاوي. إذن كان الدم ليس فقط ثأراً بل بدأ كأنه كما قيل في أحد الحوارات ما بين فتح وصديقه أخو القتيل، "كأنه قميص عثمان" لم يكن الغرض من المطالبة بدم عثمان إلا فقط مدخلاً لتحقيق أهدافاً أخرى مستترة حتى حين.

والمطالبة بالسلطة والسعي لها وبها ينتهي غالباً لدن عتبات الدم، وإذا تحول الصراع على السلطة لمرحلة الأحمر القاني فالغالب أن ذلك الصراع لن ينتهي إلا بدم أيضاً بل ولا يتوقف استمرار ذلك الصراع إلا بمزيد من الدم أو بمقتل بعض أطراف الصراع ذاتهم. وعادة إذا بدأت أنهار الدم في الانسياب داخل أوردة الصراع على السلطة فلن يتوقف الصراع وكذا لن يتوقف الدم. فالدم هنا لا يكون حَكماً أو قاضياً بانتهاء الصراع لصالح من غلب، بل يغدو الصراع أكثر تأججاً به، وتتحول جميع الأطراف إلى المطالبة به، حقها في الدم يغدو أخاً شقيقاً لمطالبتها بالسلطة. السلطة في هذا الصراع ليست دموية بل تُضحي بمضي الوقت مؤسسة على الدم. وحتى إذا توقفت أنهار الدم ليس معناه انتهاء الصراع بل ربما يكون هذا استعداداً لإراقة دم آخر جديد هذه المرة. وللمفارقة كانت النهاية المثيرة التي اختارها عكاشة لبطله وعمدة بشنين، هي الاحتفاء والذوبان، فما بدأ بدم أو داخله دم لا ينتهي غالباً بخير. هكذا الرسالة المشفرة التي أودعها أسامة أنور عكاشة عمله التلفزيوني البديع عن السلطة وصرعاتها ومآلتها.



النواب الأقباط والقضية الوطنية في البرلمان المصرى ١٩٢٢ - ١٩٥٢

بقلم : د. ملاك نجدي أبوضابة

كانت القضية الوطنية بمعناها الشامل الجلاء البريطاني عن مصر والسودان وتحقيق الاستقلال التام لأرضيهما الشاغل الأول للرأي العام والأحزاب السياسية والهيئات النيابية في مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م ، فلم يغفل البرلمان هذه القضية منذ دور الانعقاد الأول ، حيث أشار رئيس الوزارة في خطاب العرش في برلمان ١٩٢٤م ، إلي استعداد حكومته للدخول في مفاوضات حرة خالية من أية قيود مع الحكومة البريطانية لتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان. ووقتها قام نائب قبطي من مديرية القليوبية هو سلامة ميخائيل ومعه نواب أخرون بسؤال الزعيم سعد زغلول عن ميعاد بدء المفاوضات مع الحكومة البريطانية بشأن القضية المصرية ، فأجابه سعد زغلول أنه يوجد بعض عقبات تقف حائلا حول تحديد ميعاد بدء المفاوضات ، وسوف يتم السير فيها عقب تذليل هذه العقبات.

وعلى الرغم من ذلك فقد أدلى رامزي مكدونالد Macdonald رئيس الوزراء البريطاني بتصريح في مجلس العموم البريطاني أشار فيه إلى أن المفاوضات بين الحكومتين البريطانية والمصرية ستكون قائمة على أساس السياسة التي أقرها البرلمان الإنجليزي في ١٤ مارس سنة ١٩٢٢م أي تصريح ٢٨ فبراير .

وكان من الطبيعي أن يحدث هذا التصريح صداه في البرلمان ، فسارع سعدزغلول باشا بتأييد استنكاره لتصريح ٢٨ فبراير ، وأعلن أن الحكومة لا تدخل المفاوضات إلا حرة من كل قيد .



لويس أخنوخ فانوس (١٨٥٦ - ١٩٤٦)

وعندما قامت الحكومة البريطانية في السودان في يونيه سنة ١٩٢٤م بالإيحاء إلى صنائعها هناك بعقد اجتماع يتظاهرون فيه بالولاء لبريطانيا ، ويطالبون فيه بالانفصال عن مصر .

تألف وفد سوداني معارض لتلك الحركة الانفصالية ، وعزم على السفر إلى مصر ، غير أن الحكومة البريطانية منعته من السفر ،واعتقلت بعض أعضائه .

وقد احتج النواب الأقباط مع غيرهم من أعضاء مجلس النواب بالإجماع على تلك التصرفات البريطانية ، واعتبروها اعتداءًا على حقوق السيادة المصرية في السودان ، واستنكروا المناورات المصطنعة التي تقوم بها بريطانيا في السودان . وقد أيدهم في ذلك النواب الأقباط مع غيرهم من أعضاء المجلس بالإجماع أيضاً.

وعلى أثر تصريحات الحكومة البريطانية بخصوص السودان والمفاوضات التي أكدت فيها إصرارها على عدم تغيير مركزها في السودان ، وأن تكون المفاوضات على أساس تصريح ٢٨ فبراير ، أعلن سعد زغلول باشا في مجلس النواب عزمه عن التخلي عن الوزارة ، مشيراً إلى أنه لا يمكن لمصر التنازل عن السودان لأنه جزء منها ، كما رفض أن تكون المفاوضات على أساس تصريح ٢٨ فبراير ، غير أن المجلس طالبه بالاستمرار في حكومته حتى تتحقق كل أماني البلاد من استقلال مصر والسودان .

وكان النواب الأقباط ضمن الأعضاء الذين طالبوا بذلك . فعدل سعد زغلول باشا عن قراره وتقدم بالشكر للمجلس على ثقته بالحكومة . ثم تقدم لويس أخنوخ فانوس أفندي في مجلس الشيوخ باقتراح تضمن تأييد المجلس لسعد زغلول باشا في موقفه إزاء السودان ، ووافق المجلس على هذا الاقتراح .

وقد انتظرت الحكومة البريطانية أقرب فرصة للتخلص من حكومة سعد زغلول ، وقد تحقق لها ذلك عندما وقع حادث اغتيال السير لي ستاك سردار الجيش المصري والحاكم العام للسودان في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤م ، فتقدمت بالعديد من المطالب ، كان فيها اعتداء صارخ على حقوق مصر وسيادتها .

وفي مجلس الشيوخ تقرر أيضاً الاحتجاج على موقف الحكومة البريطانية ، ووافق النواب الأقباط مع غيرهم من أعضاء المجلس على صيغة الاحتجاج الذي تم وضعه .

ومن أهم النواب الأقباط الذين لعبوا دورا كبيرا فى هذه المسألة كان سلامة ميخائيل عضو مجلس النواب بمديرية القليوبية وراغب إسكندر عضو مجلس النواب القبطي بمديرية المنوفية حيث كانا فى مقدمة النواب الذين وضعوا مذكرة الاحتجاج هذه ضد السياسة البريطانية الجائرة فى مصر عقب حادثة مقتل السير لى ستاك وقد اشير فيها إلى استياء المجلس من المذكرة البريطانية بشأن الحادث من حيث لهجتها المهنية للأمة والحكومة وما اشتملت عليه من الطلبات الفادحة التي لا تتفق مع القوانين الدولية أو تصريحات الحكومة البريطانية المتكررة ، وتقريره تبليغ احتجاجه إلى عصبة الأمم وبرلمانات العالم . وقد أقر المجلس بالإجماع هذا الاحتجاج . ولم يجد هذا الاحتجاج من قبل النواب أية استجابة من مندوبي الدول الكبرى بحجة أنه لم يعرض علي عصبة الأمم من حكومة زيور التي وافقت علي المطالب البريطانية .

وحينما حضر اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في مصر إلى مصر في أكتوبر سنة ١٩٢٥م ، أعد لاستقباله مظاهر بالغة في الحفاوة والتعظيم ، كانت إعلاناً من وزارة أحمد زيور باشا باهتمامها للمندوب السامي الجديد ، رغبة منها في أن تنال الحظوة لديه وتثبت مركزها المتداعي . و زاد في التعظيم من شأنه أنه لم يقدم أوراق اعتماده إلى الملك فؤاد ، على خلاف ما كان متبعاً قبل إعلان الحماية .

وكان لذلك صداه في مجلس النواب ، حيث طالب عدد من النواب من بينهم نواب الأقباط المجلس باستنكار الطريقة التي اتبعها المندوب السامي ، بعدم تقديم أوراق اعتماده ، كغيره من الذين سبقوه في هذا المنصب ، معتبرين ذلك اعتداء على استقلال وكرامة البلاد . غير أن هذه المطالب لم تلق التأييد بالمجلس ، ويبدو أن ذلك كان لعدم إغضاب المندوب السامي. في حين وافق المجلس على صيغة اقتراح تضمنت أن المجلس يعتمد على الحكومة في العمل

على أن يقدم ممثلو بريطانيا في مصر ، أوراق اعتمادهم ، بما يتفق مع استقلال مصر وكرامتها.
كما قام راغب إسكندر بعقد اجتماع مع العديد من النواب الوفديين بمديرية المنوفية فى ٢٧ نوفمبر ١٩٢٤م وأعلنوا انتقادهم لحكومة أحمد زيور باشا فى اعتمادها سياسة الموافقة التى تنتهجها مع بريطانيا وظهر ذلك جليًا فى تأجيل انعقاد جلسات البرلمان والعمل على سحب جنود الجيش المصرى من السودان ، وقيام الإنجليز بانتهاك الحريات العامة فى مصر والقبض على الأعيان وبعض النواب . وفى يونية ١٩٢٨م تقدم راغب إسكندر باقتراح لمجلس النواب بتخصيص مبلغ ٢٠ ألف جنيها مصريا وتقديمه إلى وزارة الخارجية المصرية لإنشاء مكتب صحفي لها يساعدها على تقديم صورة صحيحة عن أوضاع مصر الداخلية عوضا عن الصورة السيئة التى تنقلها الصحافة الأجنبية عنها من قبل صحافة الاحتلال .
وقد جرت خمس محاولات للتفاوض مع الحكومة البريطانية خلال الفترة من سنة ١٩٢٤م وحتى سبتمبر سنة ١٩٣٢ م ، ومن أهمها تلك التى أعلن عنها رئيس الوزراء مصطفى النحاس فى عام ١٩٣٠م ، حيث قرر أمام المجلس العودة إلى طريق المفاوضات مع بريطانيا ، وكان نواب الدقهلية بمجلسيه النواب والشيوخ يؤيدون سياسة حكومة النحاس فى مواصلة هذه المفاوضات ، ومن هؤلاء النواب النائب الوفدى سلامة ميخائيل الذى كان يرى أنها مفاوضات مثمرة . ولكنها فى النهاية لم تشهد تقدماً في مسار القضية الوطنية ، بسبب تلاعب موقف بريطانيا ، وظل الأمر كذلك حتى سنة ١٩٣٦م التي تمثل نقطة تحول جوهرية في مسار العلاقات المصرية البريطانية ، فمع تداعيات الظروف على الساحة الدولية في أواخر سنة ١٩٣٥م بسبب الأزمة الحبشية الإيطالية ، وتوهج مظاهرات الطلبة في مصر ، وتحذير المندوب السامي لامبسون لوزير خارجيته إيدن من خطورة الأوضاع في مصر ، خاصة بعد تأليف جبهة وطنية من أحزاب الوفد ، و الأحرار الدستوريين ، والوطني ، والشعب ، والاتحاد ، إلى جانب المستقلين . كونت لجنة لتحرير خطاب إلى الملك لإعادة دستور ١٩٢٣م و خطاب إلى لامبسون للمفاوضة وعقد معاهدة مع الحكومة البريطانية كان محمد محمود باشا من الموقعين على هذين الخطابين ، أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها للتفاوض مع الحكومة المصرية لعقد معاهدة معها. فتألفت هيئه رسمية لإجراء المفاوضات ضمت محمد محمود باشا وبدأت المفاوضات في القاهرة في ٢ مارس سنة ١٩٣٦م وانتهت بتوقيع مشروع المعاهدة في مقر وزارة الخارجية البريطانية في لندن في ٢٦ أغسطس منه .
كما وافق مجلس الوزراء على مرسوم دعوة البرلمان لاجتماع غير عادى في نوفمبر منه لنظر مشروع المعاهدة . نظراً لأن إيدن — وزير خارجية بريطانيا - أبدي رغبته إلى النحاس باشا أثناء وجوده في لندن بأن تعرض المعاهدة على البرلمان المصري قبل عرضها على مجلس العموم واللوردات ، وذلك لتسهيل مهمة الوزارة البريطانية في الحصول على موافقة هذين المجلسين ، وحتى لا تكون هناك شكوك من جانب أعضاء البرلمان البريطاني بوجود معارضة قوية لمعاهدة سنة ١٩٣٦م من جانب البرلمان المصري .
وقد تولت لجنة الخارجية بمجلس النواب بحث المعاهدة وتقديم تقرير عنها إلى أعضاء المجلس ، وكان عبد المجيد إبراهيم صالح باشا أحد أعضاء هذه اللجنة . وقد ألقي مصطفي النحاس باشا في الجلسة الافتتاحية للمجلس بمناسبة مناسبة مناقشة مشروع المعاهد بياناً شرح فيه بنود المعاهدة ، مبيناً أنها تحقق استقلال مصر .
ثم أحيلت هذه المعاهدة إلى مجلس الشيوخ لإقرارها أيضاً ، وتولت لجنة الخارجية بالمجلس بحثها وتقديم تقرير عنها إلى الأعضاء . وكان لويس أخنوخ فانوس أفندي عضواً بهذه

اللجنة ، كما ضمت لجنة مجلس الشيوخ هذه أعضاء أقباط أخرون فى تشكيلها من مديريات أخرى مثل وهيب دوس من مديرية القاهرة وكان سكرتير هذه اللجنة التي وصلت في تقريرها إلي إن أهم مكاسب هذه المعاهدة هي استقلال مصر ومراعاة المصالح البريطانية التي تتعارض مع الاستقلال.

ثم ناقش أعضاء المجلس هذا التقرير ، فتحدث لويس أخنوخ فانوس أفندي متحدياً في أن يكون الغرض من وجود نقطة عسكرية في منطقة القناة احتلالاً . وقد دلل على ذلك بما جاء في نص المعاهدة على أن وجود النقطة العسكرية والمطارات في منطقة القناة لا يكون احتلالاً بل تعتبر معاونة حليف لحليف مستقل . وأوضح أن الوجود المادي لجنود دولة أجنبية في أرض دولة أخري بناء علي سابق تفاهم ورضاء بين الدولتين لتحقيق غرض معين تري فيه مصلحة لها، لا يمكن أن يكون له أي معني من معاني الاحتلال ولا مساس فيه لجوهر الاستقلال لا شكلاً ولا فقهاً ولا معني . وأضاف أنه ليس في هذا خطر ، وإنما الخطر يكون إذا أساء الجندي الأجنبي عند وجوده في البلاد إلى حقوقها وهذا لن يحدث ، بل مع التسليم بوجود هذا الخطر فانه لا يقع فعلاً إلا إذا قمنا نحن بعمل إيجابي من جانبنا يوجد الخطر الذي يجلب علينا ذلك العدوان .

ثم انتقل إلى نقطة أخري في المعاهدة وفي مسألة السودان لما استطعنا مطلقاً ولما استطاع أي مصري أن يقبل المعاهدة ، تلك العبارة التي تفيد أن الحاكم العام يباشر سلطته بالنيابة عن كلا الطرفين .

مما يعني أننا نخلق للإنجليز بهذه المعاهدة حقاً في السودان لم يكن لهم مطلقاً وهو حق الاشتراك في السيادة على السودان . على أن المادة فيها إشارة إلى اتفاق ١٩ يناير سنة ١٨٩٩م ، وفيها عبارة أخري خاصة بالاحتفاظ بالسيادة أضيفت بناء على طلب المفوض المصري وقبلها نظيره البريطاني . وأكد على أن السودان ما هو إلا أرضا مصرية تبدأ من بحيرة فيكتوريا نيا نزا وتنتهي إلى البحر الأبيض المتوسط . ودعا المجلس إلى قبول هذه المعاهدة التي اعتبرها دعامة كبري لتوطيد السلام العالمي وحماية للبلاد من كل اعتداء أجنبي .

وكان من بين المعارضين من النواب المصريين لهذه المعاهدة النائب القبطي وهيب دوس وانتقد البنود العسكرية فيها ووضع السودان ، بالإضافة إلى معارضته عرض النزاع بين مصر وبريطانيا على عصبة الأمم لأنها تساند الدول العظمى فقط ، ولن تساند الدول المحتلة ، ولكن يذكر أن عددا لا بأس به من النواب الأقباط الأخرون وافقوا عليها لما بداخلها من بنود فى صالح القطر المصرى ، وكان فى مقدمتهم فى مديرية الغربية النائب مرقص بطرس نائب دائرة قلين ، وعلى الرغم من ذلك وافق مجلس الشيوخ على إقرار المعاهدة بأغلبية ١٠٩ صوتاً ومعارضة ٧ أصوات .

وفي السنة التالية لعقد معاهدة ١٩٣٦م ، دعت مصر إلى عقد مؤتمر الامتيازات في مدينة مونترو في أبريل سنة ١٩٣٧م ، والذي ستحضره الدول ذوات الامتيازات أي أسبانيا والبرتغال والدنمارك والسويد والنرويج واليونان والولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وبريطانيا وبلجيكا وفرنسا وهولندا . واقترح محمد محمود باشا بقاء جبهة المفاوضات المصرية حتى تعقد معاهدة إلغاء الامتيازات باعتبارها مكملة للمعاهدة ، ولكن الحكومة الوفدية لم تستجب لاقتراحه .

وقد أعلن لويس أخنوخ فانوس أفندي عن ترحيبه بإقرار الاعتماد اللازم لسفر وفد الحكومة المصرية لمؤتمر مونترو ، ورجا الأجانب أن يندمجوا مع المصريين لأنهم بحكم الواقع والتاريخ أصبحوا جزءاً من جسم الأمة اجتماعياً واقتصادياً . ووافق النواب الأقباط مع غيرهم من أعضاء المجلس علي مشروع القانون المشار إليه .

وقد نجح الوفد المصري في مؤتمر مونترو بإلغاء الامتيازات في ٨ مايو سنة ١٩٣٧م ، ووافق نواب الأقباط على مشروع القانون الخاص بهذا الشأن عند أخذ الرأي عليه بمجلسي البرلمان.

ومع نشوب الحرب العالمية الثانية في أول سبتمبر سنة ١٩٣٩م ودخول بريطانيا تلك الحرب ، قام على ماهر باشا بإعلان الأحكام العرفية ، وأصدر مرسوماً بذلك في أول سبتمبر بناءً على طلب السفارة البريطانية تنفيذاً المعاهدة ١٩٣٦م ، وشكلت لجنة بمجلس الشيوخ لبحث هذا المرسوم ضمت لويس أخنوخ فانوس أفندي .

ثم ناقش الأعضاء بالمجلس هذا التقرير فذكر لويس أخنوخ فانوس أفندي أن الظروف التي اقتضت إعلان الأحكام العرفية هو قيام الحرب بين بريطانيا وحلفائها من جانب وبين الألمان وحلفائهم من جانب آخر ، ولازالت هذه الحرب قائمة بل تزداد خطورة يوماً عن يوم ويتسع نطاقها ، كما تتسع دائرة الأعمال الحربية . أما الظروف التي تقتضي استمرارها فهذا أمر لا مفر منه لأن بريطانيا قدرت الحاجة إلي إعلان الأحكام العرفية وقد نصت المادة السابعة من المعاهد المصرية الإنجليزية ١٩٣٦م علي وجوب إعلان هذه الأحكام في الظروف الموجبة لذلك واستنكر ما قيل حول إساءة علي ماهر باشا الحاكم العسكري لسلطته .

وأوضح أن الملك يحرص كل الحرص على راحة شعبه ويراقب الأمور مراقبة دقيقة ، ولا يرضي أن يسمح لعلي ماهر باشا أو غيره أن يعبث بمصالح البلاد. وقد أقر المجلس بقاء الأحكام العرفية وفقاً لعدد من القيود تمثلت في العمل علي حصر تطبيق هذه الأحكام جهد الطاقة عند الضرورات العسكرية التي تقتضيها سلامة البلاد وتقضي بها المعاهدة ، والرجوع إلي البرلمان في الشئون الخطيرة مراعاة لحرج الموقف ،وتخفيف الرقابة على الصحف بحيث تقتصر على الأنباء التي يترتب على نشرها إضرار بسلامة البلاد وبالقوات المصرية وبالقوات الحليفة والصديقة . وقد وافق النواب الأقباط مع غيرهم من أعضاء المجلس على ذلك .ومع تخلى إيطاليا عن حيادها ودخولها ميدان الحرب إلى جانب ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا في ١٠ يونيه سنة ١٩٤٠م ، زادت المطالبة بدخول مصر الحرب إلى جانب حليفتها بريطانيا ، استناداً للمادة السابعة من معاهدة ١٩٣٦م التي كانت تنص على أنه " إذا اشتبك أحد الطرفين في حرب فإن الطرف الآخر يقوم في الحال بإنقاذه بصفته حليفاً . وتنحصر المعونة من جانب مصر في أن تقدم داخل حدودها جميع التسهيلات التي في وسعها بما في ذلك استخدام الموانئ والمطارات وطرق المواصلات " وفي غضون ذلك أعلن علي ماهر باشا في ١٢ يونيه ١٩٤٠م في جلسة سرية أمام أعضاء البرلمان أن سياسة حكومته تقضي بتجنيب مصر ويلات الحرب ، وأن معاهدة ١٩٣٦م لا تلزم مصر بإعلان الحرب ، وأكد علي أن مصر لن تدخل الحرب إلا إذا بدأت القوات الإيطالية في التوغل داخل الأراضي المصرية ، أو ضربت المدن المصرية بالقنابل ، أو شنت غارات علي مواقع الجيش المصري .

وفي أوائل فبراير سنة ١٩٤٥م حدثت تطورات مهمة في موقف مصر إزاء الحرب العالمية الثانية ، إذ قرر الحلفاء في مؤتمر القرم الذي عقد في مدنية يالتا في الفترة ٣- ١١ فبراير ١٩٤٥م ، عقد مؤتمر دولي في مدينة سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٥ أبريل من السنة نفسها ، لإعداد ميثاق هيئة الأمم المتحدة المزمع تكوينها في أعقاب الحرب ، لكي تحل محل عصبة الأمم التي فشلت في مهمتها وهي إقرار وحفظ السلام العام وقد اشترط الحلفاء أن توجه دعوة حضور هذا المؤتمر إلي الدول التي تكون قد أعلنت الحرب علي المحور

قبل أول مارس سنة ١٩٤٥م .وكان معروفاً أن اشتراك مصر في هذا المؤتمر سيجعلها من الأعضاء المؤسسين لهيئة الأمم المتحدة ، وسيكفل لها مساندة دولية في ممارسة حقها في الدفاع عن مصالحها وحقوقها ، حتى تصل بقضيتها الوطنية إلى هدفها المنشود وهو تحقيق الاستقلال التام .
فُدعى البرلمان بمجلسيه للانعقاد في دور غير عادي في الفترة ٨ – ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٥م ، وذلك للتصديق على الميثاق ، وقد دارت المناقشات فى البرلمان حول مؤتمر سان فرنسيسكو هذا ، وتساءل بعض النواب عن خطة الوفد المصرى المسافر إلى هذا المؤتمر ومنهم النائب القبطي القاهرى فى مجلس الشيوخ وهيب دوس الذى عارض النقراشى باشا رئيس الحكومة المصرية فى كلمته التى قرر فيها أن هذه الخطة عرضت على الهيئة السياسية التى شكلها على ماهر وضمت فى عضويتها مجموعة من رجال السياسة المصريين ومن بينهم مكرم عبيد و النقراشى وإسماعيل صدقى و عبد الهادى وحافظ عفيفى وغيرهم ، وطالب دوس بإعلان تفاصيل هذه الخطة ومقترحاتها على نواب الشعب قبل سفر الوفد المصرى إلى سان فرنسيسكو ، وطلب من أعضاء الوفد أن يهتموا بعرض نقطتين فى هذا المؤتمر أولها المطالبة بحق مصر فى قناة السويس ، والثانية حق مصر فى السودان ، كما دعا أعضاء الوفد إلى الانسحاب من المؤتمر إذا تعارضت مصالحه مع المصالح المصرية .
وقد تحدث عازر جبران أفندي في مجلس الشيوخ وأوضح أنه بعد دراسته للميثاق ، خرج مقتنعاً بأنه لمصلحة مصر .
وأضاف أن الميثاق ينص علي أن أهم المقاصد التي ترمي إليها الهيئة العالمية الجديدة هي حفظ السلام والأمن الدولي ، ومنع الأسباب التي تهدد السلم . ثم استطرد قائلاً إن عصبة الأمم شكلت في سنة ١٩١٩م ، ولكنها فشلت في حفظ الأمن ، لأن اليابان اعتدت علي الصين ، وإيطاليا اعتدت علي الحبشة . و أن مصر أرسلت للعصبة احتجاجاً علي هذا الاعتداء ، فكان الرد من مجلس العصبة بالعلم ، لا أكثر ولا أقل .
وأضاف وقد وقعت الحرب الحالية ، وهي دليل علي فشل العصبة . وأن الولايات المتحدة الأمريكية – وهي من أقوي دول العالم – كانت بمعزل عن العالم الأوروبي ، ولكنها لما اشتركت في الحرب ، خرجت عن هذه العزلة ، ورأت أن تشترك فعلاً لمنع الأسباب التي تهدد السلم ، وأن تقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوب الإخلال بالسلم ، وأنشأت مجلساً اقتصادياً وآخر اجتماعياً ومحكمة عدل دولية إلي غير ذلك ، لتحل كل هذه الهيئات محل عصبة الأمم الهزيلة الضعيفة .
ثم أردف قائلاً أنه يكفي لميثاق الأمم المتحدة أن لديه من السلطان والقوة ما يمنع به العدوان ، وهو ما لم يكن متوفراً لدي عصبة الأمم التي كانت ميداناً للخطابة ، حيث يتبارى ممثلو الدول بها ، ولا أثر بعد ذلك لرد العدوان . وأبدي إعجابه بما ذكره إسماعيل صدقي باشا في مجلس النواب في أن الميثاق قرب بيننا وبين الأهداف القومية ، ووفر علينا جهوداً كبيرة كنا سنبذلها بالوصول إليها .
وأشار إلي أن كل نص في معاهدة ١٩٣٦م – التي نصرخ ونطالب بتعديلها – يتعارض مع هذا الميثاق ويعتبر لاغياً . وضرب مثلاً لذلك بالمادة السابعة من المعاهدة والتي نصت علي أنه " إذا اشتبك أحد الطرفين في حرب ، فان الطرف الآخر يقوم في الحال بإنقاذه بصفته حليفاً . فهذا النص يسقط من تلقاء نفسه ، لأن مجلس الأمن الدولي هو المكلف بالمحافظة علي الأمن ومنع نشوب الحرب ، وهو الذي يلزمنا بقوات معينة وبنصيب معين في حفظ الأمن العالمي ، وله مجلس أركان حرب ، وإلي غير ذلك من الهيئات .
وفيما يتعلق بمسألة القوات التي يطلبها مجلس الأمن

من مصر ، وحق المرور وتخوف عبد الرحمن الرافعي بك من احتمال أن يطلب من مصر جيش تساهم به في الحرب ، أو يطلب منها مصروفات لا قبل لها بها . أوضح عازر جبران أفندي أن الميثاق طمأننا من هذه الجهة فالميثاق صريح في أنه لا يمكن لمجلس الأمن أن يفرض علي إحدى دوله قوة معينة ، وإنما يتشاور معها ويتفاوض ، وينتهي الأمر باتفاق , وهذا الاتفاق يعرض علي الدول لتوافق عليه أو لا توافق ، وفق أوضاعها الدستورية .

وفي تفسيره لنص الميثاق في المادة الثالثة والأربعين في الفقرة الثالثة والتي جاء فيها أن المفاوضة في الاتفاق أو الاتفاقات المذكورة تجري بأسرع ما يمكن ، بناءً علي طلب مجلس الأمن ، وتبرم بين مجلس الأمن وبين أعضاء الأمم المتحدة، أو بينه وبين مجموعات من أعضاء الأمم المتحدة ، وتصدق عليها الدول الموافقة وفق مقتضيات أوضاعها الدستورية . أوضح النائب ذاته أن معني ذلك أنه لا يمكن للحكومة المصرية أن تتفق مع مجلس الأمن علي قوة أو مصروفات إلا إذا جاءت بموافقة مجلس الشيوخ الذي يكون له حق الرفض أو التعديل أو التقرير .

ثم أردف قائلاً بأنه توجد مسألة عوجاء هي مسألة الأمم الخمس الكبرى التي تجلس جميعها دائماً في مجلس الأمن ، ويجلس معها ممثلو ست دول يختارون بين حين وآخر من بين ممثلي جميع الدول ، ومن بين هذه الدول مصر .

فإذا ما طرأت مسألة فيها قمع ، أو مسألة تعرض لحل سلمي ، وافقت عليها أربع دول كبري فقط ، فان هذه الموافقة لا تسري ، إذ لا بد من موافقة الدول الخمس الكبرى ومعها اثنتان من الدول الأخرى ، ويكون من بين الدول الخمس الدولة صاحبة الشأن .

ومعني هذا أن الولايات المتحدة الأمريكية إذا كانت معتدية هي أو روسيا مثلا ً ، فيؤخذ رأيها أيضاً ؛ وقرار مجلس الأمن لا يغني عن موافقة روسيا المعتدية .

وقد امتعضت الدول الصغرى من هذه الفكرة .

وقد جاهد أقطاب الوفد المصري مثل عبد الحميد بدوي باشا ، وإبراهيم عبد الهادي باشا في أن يخففا من حدة هذه المادة، فلم يستطيعا شيئاً حتى من تغيير العدد ، وبقي النص على حالته .

ثم اختتم كلمته بأنه يجب النظر إلي هذا الميثاق بعين الإنصاف ، فلا يجوز أن نطلب المساواة بدولة تعدادها ١٢٠ مليون نسمة ، وهي مدججة بالسلاح ، ولها أساطيل عظمي ، أو إمبراطورية كبري أو جمهورية عظيمة . وما دامت هذه الدول الكبرى هي التي التزمت بالمحافظة علي الأمن العالمي ، ويقع عليها تلقاء ذلك أكبر عبء وأثقله ، فمن الإنصاف أن يكون لمثل هذه الدول امتياز .

ولو كنا في موضعهم لطلبنا هذا الامتياز .

وقد صدق النواب الأقباط مع غيرهم من أعضاء المجلس على هذا الميثاق .

ويتضح مما سبق أن النائب كان قارئاً جيداً لميثاق الأمم المتحدة ونصوصه ، ولكنه كان مسرفاً في التفاؤل في حديثه عن أن بعض بنود معاهدة ١٩٣٦م يعتبر لتعارضها لاغياً مع بنود الميثاق وضرب مثلاً لذلك بالمادة السابعة ، ونسي ضمن ما أشار إليه أن الدول الكبرى لها اليد الطولى في المنظمة الجديدة .

وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٥م أرسلت حكومة النقراشي باشا مذكرة إلي وزارة الخارجية البريطانية ، من أجل الدخول في مفاوضات لإعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦م وجلاء القوات الأجنبية عن مصر وتحقيق مشيئة أهل وادي النيل في وحدة مصر والسودان . وقد وافقت الحكومة البريطانية علي هذا الأمر وردت في ٢٦ يناير سنة ١٩٤٦م بمذكرة أعلنت فيها أن المبادئ الأساسية التي قامت عليها معاهدة ١٩٣٦م سليمة في جوهرها ، وأن سياستها هي إقامة التعاون علي أساس المشاركة الحرة الكاملة بين ندين للدفاع عن مصلحها المتبادلة ، واحترام استقلال مصر وسيادتها احتراماً تاماً.

وقد أدي هذا الرد إلي إثارة الرأي العام في مصر ، حيث انعقد مؤتمر الطب العام بجامعة فؤاد في ٩ فبراير ، شارك فيه طلبة الجامعة والمدارس الثانوية والصناعية والأزهر،

، وصدر عن المؤتمر عدة قرارات منها وقف المفاوضات الدائرة وإلغاء معاهدة ١٩٣٦م واتفاقيتي ١٨٩٩م الخاصة بالسودان وجلاء القوات البريطانية فوراً وتطبيق المواثيق الدولية .

و رأي المؤتمرون بعد ذلك ، الخروج لإبلاغ هذه القرارات للمسئولين في كل ظاهرة فوقعت معركة كوبري عباس ، كما وقعت عدة مظاهرات أخري في شتي أنحاء البلاد .

وقد أعقب ذلك تكوين لجنة وطنية للعمال والطلبة كان أول قراراتها أن يكون يوم ٢١ فبراير يوماً للجلاء ، ويوم إضراب عام لجميع هيئات الشعب وطوائفه ، واستمرت المظاهرات في الأيام التالية ، سقط فيها العديد من الشهداء والجرحى بسيارات ورصاص القوات البريطانية .

وكان لهذه الاعتداءات صدي في البرلمان ، ففي مجلس النواب وافق النواب الأقباط مع غيرهم من أعضاء المجلس علي اقتراح تقدم به الأعضاء تضمن استنكار هذه الحوادث وتأجيل الجلسة إلي الغد حداداً علي أرواح الشهداء بها.

وفي مجلس الشيوخ أوضح لويس أخنوخ فانوس أفندي أن الشباب والعمال الذين شاركوا في هذه الحوادث تنقصهم القيادة الصحيحة ، وتقصير الأحزاب والزعماء والنواب في أداء واجبها نحوهم ، وفي توجيه أفكارهم الاتجاه الصحيح لمصلحة البلاد وتنيرهم بالدعائم السليمة التي تقوم عليها القضية المصرية. وقد نسي النائب أن الطلبة بطبيعتهم ودون التدخل من أحد مفعمين بالوطنية الصادقة وبذلوا في سبيل مصر الكثير ، ولا ينقصهم التوجيه السليم من الأحزاب المختلفة .وبعد أن استقالت حكومة النقراشي ، قام إسماعيل صدقي بتشكيل الحكومة للمرة الثالثة فى التاسع من فبراير ١٩٤٦م، وصدرت المراسيم بتعيين صدقي رئيس للوفد الرسمي للمفاوضات مع بريطانيا ، ولكن لم يحرز تقدما فيها لسبب ارتفاع أصوات المعارضة ضده ، واضطر صدقي حل الوفد الرسمي للمفاوضات فى السابع والعشرون من نوفمبر فى العام نفسه .

ومن جانب أخر قدم الصحفي النائب مصطفى أمين استجوابا للحكومة حول طريقة سير المفاوضات، ودعا صدقي إلى جلسة سرية للمجلس ، وفى ختامها قام خمسة نواب من بينهم عزيز مشرقي اقتراح تضمن إعلان الثقة فى السياسة الخارجية للحكومة ، والاستمرار فى جهودها لتحقيق الغاية المنشودة وهى الجلاء ووحدة مصر والسودان ، مع ضرورة عرض هذه الجهود على البرلمان للتباحث فيها. إلا أن هذا تسبب فى اندلاع مظاهرات شعبية شديدة حدث فيها حرق بعض المحال التجارية ، الأمر الذى أدى إلى انعدام الأمن فى البلاد ، وقامت الحكومة بتقديم استقالتها فى الثامن من ديسمبر ١٩٤٦م.

وفى فبراير عام ١٩٤٧م كان وهيب دوس عضو مجلس الشيوخ بالقاهرة أحد ثلاثة نواب قاموا بتقديم قرار للمجلس يتضمن قطع المفاوضات المصرية البريطانية تماما ، والمبادرة بعرض القضية المصرية على الهيئات الدولية المتخصصة ، ودعوة الحكومة لإلغاء معاهدة ١٩٣٦م واتفاقيتي السودان عام ١٨٩٩م. وتم عرض القضية على مجلس الأمن الدولى وانتهى الأمر بأنه أوصى بضرورة عودة المفاوضات بين مصر وبريطانيا . وعليه قام الاحتلال بتنفيذ سياسة السودنة فى السودان ، فقام وهيب دوس بالتنديد بهذه السياسة البريطانية فى السودان وانتقد الحكومة لعدم انتهاجها لسياسة واضحة المعالم حيال تجاوزات بريطانيا فى السودان والقضية الوطنية .

وعندما قام مصطفى النحاس بإعلان بيانه فى جلسة ضمت نواب مجلسي النواب والشيوخ فى الثامن من أكتوبر عام ١٩٥١م وقرر بقطع المفاوضات مع الجانب البريطانى وإلغاء معاهدة ١٩٣٦م واتفاقيتي السودان عام ١٨٩٩م ، وافق جميع أعضاء المجلسين على القرار أقباط ومسلمون من مختلف المديريات فى القطر المصرى ، واعتبر ذلك انتصار للإرادة المصرية ، واحتفل الشعب المصرى كله بهذا القرار.

وهكذا يتضح دور النواب الأقباط في خدمة القضية الوطنية من خلال المشاركة الفعالة للبعض منهم بما أدلوه من آراء وسجلوه من مواقف ، في حين اقتصرت مشاركة البعض الآخر – وهو الأكثر عدداً – علي ما أعلنوه من موافقة عند أخذ آرائهم فيما كان يعرض علي البرلمان من مسائل تتعلق بهذه القضية .



بقلم: أ/ هدير مسعد عطية
باحثة دكتوراه

"الكوليرا"
في القرن التاسع عشر بين مصر والمكسيك
(١٨٣٨-١٨٨٣)

*** الكوليرا:**

"الوباء الأصفر" أو "الشوطة" أو "الكوليرا" أو "الكريرة" أو "الهيضة " او "ضربة الدم"، تتعدد الأسماء والفعل واحد، لذلك الوباء، فالكوليرا اسم يطلق على الوباء الآسيوي او الهندي، وهو مرض سريع العدوي، وقد يزعم البعض ان لفظ كوليرا منحوت من كلمة (كولر- (Cholar، اليونانية ومعناها المرارة، وهي مكان في الجسم وجدت فيه جرثومة الوباء مختفية عند حاملها، كذلك يسمي بالوباء الأصفر او الهواء الأصفر لما استقر عليه الإجماع من انه مرض يصدر عن وطن الجنس الأصفر وهي بلاد الصين وبورما والهند الصينية والهند وسيام واليابان.

والكوليرا مرض وبائي معدي يصيب الجهاز الهضمي وبخاصة الامعاء الدقيقة ويكون مصحوبا بإسهال شديد ومتكرر واحيانا يواكب ذلك التقيؤ، مما يسبب حالة من الجفاف في الجسم لفقد كميات كبيرة من الماء والسوائل والاملاح في فترة زمنية صغيرة، وتقدر هذه الكمية من الماء والسوائل المفقودة بسبعة ليترات في كل ٢٣ ساعة من المرض، مما ينتج عنه ارتفاع نسبة الوفيات بين الحالات التي تصاب بالمرض، والجرثومة المسببة للمرض تسمي بـ" ضمة الكوليرا" لأنها على شكل علامة الضمة، وتدخل جراثيم الكوليرا الي الجسم عبر الفم مع الاطعمة والاغذية والسوائل الملوثة. والجدير بالذكر هنا أن البكتريا المسببة لوباء الكوليرا يمكنها العيش لمدة ايام في خزانات الماء مثل تلك التي تُحمل على السفن او عربات السكك الحديدية،



وتستطيع ان تبقي لمدة اسبوعين في الماء الدافئ، وهذا الوقت كان كافيا لان تنتقل البكتريا مع السفن الي بلاد عديدة لتنشر هذا الوباء، كما يمكن للبكتريا المسببة للكوليرا أن تعيش في امعاء الحامل البشري لها والذي لا تظهر عليه اية اعراض واضحة ولكن فجأة وبدون مقدمات يسقط الشخص ويموت بعد يومين او ثلاثة على الاكثر.

ظهور الوباء بين مصر والمكسيك:

ظهر هذا الوباء في مصر أثناء الاحتفال بمولد الشيخ ابو المعاطي بدمياط في ٢٢ يونيه، ثم ظهرت حالات في بورسعيد ثم المنصورة وسمنود والإسكندرية، وبعد اسبوعين فقط كان الوباء قد وصل الي القاهرة وشمل الوجه البحري،

ثم انتقل الي الوجه القبلي. وتسبب هذا الوباء في موت ما يقرب من ٣٦,٢٠٠ شخص في الوجه البحري، و١٢,١٧٩ شخص في الوجه القبلي، وحوالي ٧٨٩٣ في القاهرة فقط، ويكون بذلك الاجمالي ٥٦,٢٧٢ متوفي.
اما عن مصدر الوباء، فقد قيل ان العدوي دخلت دمياط ومجاورتها عام ١٨٨٣ واردة من الهند، عن طريق سفينة تدعي "تيمور" التي وصلت الي بورسعيد من الهند، وانتقل قبطانها ومن فيها الي دمياط حاملين جراثيم المرض، ويعد وباء عام ١٨٨٣ هو الموجه السابعة من ضمن عشر موجات وبائية ضربت مصر.
ويمكن القول أن ما ساعد على انتشار الوباء في مصر هو المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والصحية التي كان يعاني منها الشعب المصري، بسبب الاهمال والجهل في كيفية التعامل ومواجهة الاوبئة والامراض منذ بدايتها، بالإضافة الي مناخ مصر الذي يساعد في نمو البكتيريا والجراثيم، إلي جانب الموقع الجغرافي واثره في سهولة انتقال الاوبئة العالمية إليها، ولا ننسي البحيرات والمستنقعات المنتشرة حول القري والمدن والتي لعبت دور هام وخطير في انتشار عدد كبير من الاوبئة وليس فقط الكوليرا.
اما في المكسيك، فقد وصل وباء الكوليرا إلى ساحل البحر الكاريبي لأول مرة، عن طريق السفينة "فوياجور" القادمة من أوروبا، والتي كانت تحمل المهاجرون الايرلنديون المصابون بالكوليرا، الذين فروا من الفقر ومجاعة البطاطس، وقد حملوا المرض من أوروبا إلى قارة أمريكية الشمالية، وذلك اواخر عام ١٨٣٢، وفي ٢٦ يوليو ١٨٣٣م، كان الوباء قد وصل الي المكسيك، وبحلول ٤ اغسطس من نفس العام كان الوباء قد انتشر في جميع انحاء المكسيك فخلال الأسبوع الممتد من ٢٦ يوليو إلى ٤ أغسطس ٣١٨٣، تسببت الكوليرا في موت حوالي ١٣٤٣ حالة، وما ساعد على انتشار الوباء هو المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخطيرة التي عانت منها المكسيك وعاصمتها مكسيكو سيتي خلال القرن التاسع عشر، إلى جانب ما تسببت فيه الأوبئة من مجاعات كبيرة في تلك الفترة، فشدة الوباء وتفشيه في البلاد بشكل سريع، بالإضافة إلي سوء التغذية الحاد للشعب المكسيكي، وذلك بسبب الظروف السيئة والسعر المرتفع للحوم في مدينة تكون فيها الخضراوات غير متوفرة بشكل كافي لتعوض نقص اللحوم، هذا إلي جانب مكبات النفايات التي كانت موجودة في أطراف المدينة، والتي تعد مصدر هام من المصادر الحقيقية لانتشار العدوى للأحياء المحيطة، كل هذه الاسباب ادت الي انتشار الوباء بشكل سريع.
جدير بالذكر أن وباء عام ١٨٣٨ يعد الموجه الثانية لوباء الكوليرا الذي ضرب امريكا اللاتينية من مجموع سبع موجات خلال القرن التاسع عشر. وفي هذا الصدد، كتب احد الاطباء آنذاك ويدعي "رويز ساندوفال" في عام ١٨٣٣ "أن (المرض) يفضل الأشخاص الذين يعانون من ظروف صحية سيئة، وهذا السبب تسبب في الكثير من الضرر للسكان الأصليين".
خاصة أن الأحياء الأكثر تضررًا كانت تلك الواقعة إلى الشمال الشرقي من العاصمة مكسيكو سيتي، والتي تجلى فيها الوباء لأول مرة عبر مدينة تامبيكو، واستطاع الوباء ترك آثاره المدمرة في هذه المناطق بشكل واضح وفي وقت قصير لا يتعدى الايام.
وقد استطاعت معظم إيبارشيات مكسيكو سيتي، تسجيل حالات الوفاة والاحتفاظ بهذه السجلات، كما سجلت بعض المعلومات الخاصة بكل متوفي مثل تحديد العمر وقت الوفاة، وجنس المتوفى وسبب الوفاة؛ وفي بعض الأحيان، نجد إدراج البيانات المتعلقة بالوظيفة والحالة الاجتماعية، وأحيانًا آخري بعض المعلومات التي يعتبرها كاهن الرعية ذات أهمية، ولكن كما هو معروف فالأرقام الرسمية ليس لها علاقة بعدد المتوفين في أرض الواقع. على اية حال، فقد تم تسجيل حوالي ٦١٦٥ حالة وفاة ناجمة عن الكوليرا بنسبة (٤٤,١٪ رجال، ٥٥,٩٪ نساء)، وهو ما يمثل ٦٥,٣٪ من الوفيات العامة المسجلة في المكسيك آنذاك، وإذا تم التصنيف حسب الفئة العمرية فنلاحظ، ان من إجمالي عدد الذكور الذين ماتوا بسبب هذا الوباء،

فإن ٧,١٪ طفل مات قبل بلوغ السنة الأولى من العمر، و ٢٤,٩٪ طفل قبل بلوغ سنة الخامسة، وبين البالغين، كانت الفئات العمرية الأكثر تضررًا هي ٣٠ إلى ٣٤ عامًا ومن ٤٠ إلى ٤٤ عامًا (بنسب ١١,٦ و ٩,٢ ٪) على التوالي، ومن بين الاناث، فنجد أن حوالي ٤,٥٪ طفلة قد ماتت بالكوليرا خلال العام الأول من العمر، بينما توفيت ١٥٪ قبل بلوغ السنة الخامسة، واجمالي هذا العدد فيمكن القول أن وباء الكوليرا تسبب في القضاء على ما يقرب من ٥٪ من إجمالي سكان المكسيك، وعلى الرغم من أنه قد يبدو أن هذه نسبة صغيرة، إلا أن الخسائر كان لها عواقب ديموغرافية على الأجيال اللاحقة،ويمكن القول أن مصر والمكسيك قد اشتركا في مصدر الوباء، حيث كانت الهند والسفن الهندية هي من نقلت الوباء من مصدره الي سواحل كلا من البلدين، كما اشتركوا في سوء الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية وعادات الشعوب الخاطئة في تعاملهم مع مثل هذه الامراض، مما ادي الي سرعة انتشار الوباء واصابة وموت الآلاف منه.

دور الحكومات في مواجهة الوباء:

ترجع أهمية وباء عام ١٨٨٣ في مصر إلي عدة اسباب منها انها اولي الموجات الكبرى في أعقاب حدثين عظيمي الشأن وهما، افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية في عام ١٨٦٩ والاحتلال البريطاني لمصر في ١٨٨٢، كما أن موجة عام ١٨٨٣ لاقت اهتماما دوليا جعل مصر مقصدا للعلماء وصفوة الاطباء من اوروبا ممن كانوا يتسابقون لحل لغز الكوليرا ومسبباتها، ومساعدة مصر على اجتياز الازمة، وفي هذا الوباء استطاع العالم الالماني ومؤسس علم الميكروبيولوجي "روبرت كوخ" المجيء الي مصر وعكف في الاسكندرية حتي استطاع اكتشاف العلاج الخاص بالكوليرا ثم سافر الي الهند لاستكمال بحثه .

وقد شكلت الحكومة لجنة مختلطة مكونة من اكفاء الاطباء المصريين والبريطانيين لدراسة ومعاينة الوباء في دمياط وبورسعيد، وقد أكدت اللجنة ان سرعة انتشار المرض فادحة والاعراض الظاهرة على المصابين تؤكد انه انتشارا وبائيا، وبناء عليه أمرت الحكومة المصرية بفرض "كردون عازل" حول المدن والقري المصابة ومنع دخول او خروج أي شخص من او إلي المناطق التي ظهرت بها الكوليرا، وقام على تطبيق العزل قوة من الخفر النظاميون تحت إشراف الجيش البريطاني والشرطة المصرية، كما تم إنشاء لجنة كبرى في مصر مهمتها جمع الاموال لإنفاقها على المصابين وأسرهم ممن فقدوا اولياء امورهم بسبب الوباء.

ولكن بسبب تعامل الحكومة والسلطات الصحية بمنتهى القسوة مع المصابين اثناء فترة الوباء، أدى ذلك الأمر إلى نتائج عكسية أسهمت في حدّة انتشار الجائحة، خاصة أن المؤسسات الصحية في مصر في القرن التاسع عشر كانت تابعة لوزارة الداخلية، فكانت ترسل المرضى بشكل مهين إلى الحجر الصحي وكان ذلك بمثابة نذير شؤم، فمن يذهبون إلى الحجر لا يعودون، إذ يُلقون في مستشفيات سيئة للغاية ولا تصلح لعلاج الآدميين على أطراف المدن، كما أن السلطات كانت تشرّح الجثث أحياناً أمام أهالي المتوفي بشكل وحشي وتحرق ملابسه

أمامهم، وأحياناً تطردهم من منازلهم وتحرقها، ما كان يدفع الأهالي إلى التكتّم بشأن أي حالة وفاة بالوباء خوفاً من المصير المنتظر.

ولم يختلف الامر كثيرا في المكسيك، فمن السهل أن نتخيل الرعب الناتج عن وباء الكوليرا، والذي أدى إلى استنزاف السكان بمثل هذه النسب الكبيرة و"عانت من آثاره المدمرة عدة أجيال"، خاصة أن الاجراءات الاحترازية التي قدمتها الدولة لم تكن فعالة بالشكل المطلوب، وعانى جميع الناس سواء رجال ونساء أو شباب وكبار أو أغنياء وفقراء من العواقب، فعلى سبيل المثال في مكسيكو سيتي، كان السكان الأصليون (الاسبان) بلا شك هم السكان الأكثر تضررًا من الأوبئة، لأن الأحياء التي كانوا يعيشون فيها كانت سيئة للغاية وغير آدمية، بالإضافة الي أكبر قدر من الحرمان الاجتماعي الاجتماعي وأعلى معدلات الكثافة السكانية، في مقابل السكان البيض القادمين من اوروبا والولايات المتحدة الامريكية المتواجدين في الأحياء المركزية بالمكسيك. فقد كانت مكسيكو سيتي عرضة لانتشار الأوبئة، نظرًا لسوء الظروف الاجتماعية، ونقص وضعف البنية التحتية وتدني مستوى معيشة سكانها.

ولم يختلف الامر كثيرا في مدينة سانتا باولا و مدينة غواناخواتو، فقد كانت الروائح الكريهة المنبعثة من المستنقعات ومصارف الصرف الصحي تملئ المدينة، وكانت اثارها ضارة وخطيرة على حياة المواطنين، بجانب وجود المستشفيات في وسط المدينة محاوطة بالسكان؛ كل ذلك ادي الي سرعة انتشار الوباء.

وقد اقترحت الحكومة المكسيكية سلسلة من الإجراءات التي تهدف إلى تحسين الظروف الصحية لعاصمة الجمهورية المكسيكية، من بينها ما يلي:

تنفيذ نظام الصرف المباشر والقنوات لوادي المكسيك بأكمله، وتحسين الظروف المعيشية للطبقات المحتاجة (سواء في "غرفهم الرطبة وغير الصحية" أو في عاداتهم الغذائية)، سد الخنادق وتجفيف المستنقعات التي تحيط بالمدينة، تدمير "مكبات القمامة الموجودة في الضواحي واستبدالها بالبساتين"، نقل المستشفيات (الواقعة في وسط المدينة) نحو الأطراف، تطوير البنية التحتية، وتوفير المياه العذبة للأحياء التي تفتقر إليها، وبناء مراحيض في المنازل، وغرس الأشجار، واستبدال أنابيب الرصاص بأنابيب حديدية. كما طالبت الحكومة من المواطنين عدم شراء او تناول اطعمة تباع في الشوارع وغير معروف مصدرها، مع ضرورة غلي المياه في المنزل قبل شربها، ودفن الموتى في مقابر بعيدة عن اماكن السكن.

ولكن، كل هذه الاجراءات لم تحد من انتشار الكوليرا، حيث كانت المكسيك تعاني اشد المعاناة، فقد انتشر الوباء بشكل كبير جدا وحصد من الارواح الكثير وانخفض عدد السكان بشكل كبير، وقد حاول الناس درء المرض بشتي الطرق مثل إلقاء التعاويذ وتناول الادوية الغريبة وغير المجدية، واقامة الصلوات ومع ذلك تزايد عدد الوفيات، ومع كثرة الاصابات تراكم الجثث، قام السكان بدفن المصابين بالوباء أحياء، اعتقادا منهم انهم بذلك يمنعون انتشار المرض، وتم الدفن في مقابر جماعية وفي قبور ضحلة، في عام ١٨٦٠ تعرضت مدينة جواناخواتو لمشكلة كبيرة، حيث أن مقابر المدينة لم تعد تستوعب كمية الموتى

التي تستقبلها، خاصة بعد ظهور وباء الطاعون وانتشاره في البلاد آنذاك وحصده للأرواح، ولذلك قامت الحكومة بفرض ضريبة جسيمة على أقارب المدفونين وتم جمع هذه الضريبة منذ عام ١٨٦٥ حتى عام ١٩٥٨، فمن سيدفع الضريبة سيترك المدفون بسلام ومن لا يدفع سوف يخرج المدفون من مقبرته.

ولكن بسبب غلو قيمة الضريبة ومع زيادة معدلات الفقر والمجاعات بسبب الاوبئة المتكررة في المكسيك طوال القرن التاسع عشر، اختار الناس ألا يدفعوا الضرائب، ونتيجة لذلك، تم نبش ٩٠٪ من القبور.

وكان الدكتور "ريميغيو ليروي"، أول مومياء تم العثور عليها في مدينة غواناخواتو في عام ١٨٦٥، وقد كان الدكتور ليروي من فرنسا وليس لديها عائلة محلية لدفع رسوم التخزين، وبالتالي تم استخراج جثته لإفساح المجال لعميل يدفع، ولكن ما ادهش الجميع أن وجدت جثته محنطة وتوضح الصورة التي دفن عليها بأنه دفن بملابسه وعلى وجهه آثار الألم، ومن المحتمل أن تكون مجموعة من العوامل التي أدت إلى التحنيط، بما في ذلك المناخ الجاف للمنطقة، وكثرة الغابات التي تغطي المكسيك، وسراديب الإسمنت المختومة التي تحمي الأجسام



متحف المومياوات بالمكسيك

من الكائنات الحية التي كانت ستؤدي إلى تعفنها، وقررت الحكومة استكمال نبش محاريب مقابر مدينة غواناخواتو لاستخراج بقية الجثث.

ونتيجة لذلك، تم اخراج الجثث وتخزينها في مبنى فوق الأرض، وسرعان ما انتشر الكلام عن مستودع المومياوات وعن صورهم المرعبة التي وجدوا عليها، وكان الناس ينجذبون إلي مشاهدة محتويات صندوق عظام الموتى، خاصة أن صورهم كانت غريبة فقد دفنوا احياء وهم يصرخون وبملابسهم ومرسوم على وجوههم ملامح الرعب والفزع الذي اصابهم آنذاك، وقد استغل العمال فضول الناس وطالبوهم بالدفع مقابل مشاهدة الجثث، وبالفعل بدأ الناس يدفعون مقابل رؤية الجثث، وفي عام ١٩٥٨ تم التوقف عن نبش القبور وتم إلغاء القانون الذي يفرض ضريبة الدفن.

وبمرور الوقت وبالتحديد في عام ٢٠٠٧ قررت الحكومة المكسيكية إنشاء متحف يضم المومياوات، ويحتوي المتحف على مجموعة تضم أكثر من مائة مومياء.

ومن الأشياء المدهشة في المجموعة تنوع أعمار المومياوات، حيث يوجد "أصغر مومياء في العالم"، وعدة مومياوات لأطفال ورجال ونساء من جميع الأعمار، كما أن بعض ملابس المومياوات باقية بينما البعض الآخر يرتدي الجوارب فقط، حيث يصبح من الواضح تمامًا أن الألياف الاصطناعية تتصلب بينما تتفكك الألياف الطبيعية بسرعة أكبر، وسمي المتحف باسم "متحف المومياوات او– Museo de las Momias" باللغة الاسبانية ويقع بمدينة غواناخواتو بالمكسيك. ويمكن القول أن خوف

الناس من الوباء جعلهم يفعلون اشياء لا يصدقها عقل، فسواء في وباء الكوليرا في مصر او في المكسيك يمكن أن نري الجهل الذي كان منتشر آنذاك والذي كان سبب أساسي في العادات والمعتقدات الخاطئة لهذه الشعوب، وادي إلي نتائج كارثية.

وقد حاول المجتمع الدولي التحرك من اجل الحد من انتشار الاوبئة في العالم، خاصة ان هذه الاوبئة كانت تحصد ارواح الملايين من الشعوب وتترك البقية مصابين، مما يأتي بالسلب على المجتمعات فتؤدي إلي انهيار الاقتصاد ونقص العمالة وقلة الانتاج، وهذا ما كانت ترفضه الدول الاستعمارية الاوروبية مثل بريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت، وبسبب خوفهم على تجارتهم في المستعمرات التابعة لهم في العالم ورفضهم لفكرة الكورنتينة او الحجر الصحي الذي فرضته الدول المصابة، لذلك تم عقد ما يقرب من ١٤ مؤتمر خاص بالصحة الدولية من ١٨٥١ م وحتي عام ١٩٣٨، بهدف ايجاد حلول للحد من تفشي المرض مع استمرار حركة التجارة، ويمكن القول أن الدافع الاساسي وراء عقد هذه المؤتمرات كان اقتصاديا، أي أن الاعتبارات التجارية والاقتصادية كانت حاضر بقوة حتي في تفاصيل الخطط الخاصة بمحاصرة الاوبئة.

بعض الاعمال الفنية التي تناولت الكوليرا:

استطاعت الأوبئة اجتياح عالم الأدب والفن مثلما اجتاحت الدول والاشخاص، ولا سيما الرواية التي بدت مؤهلة لاستيعاب مثل هذه الكوارث بصفتها مادة سردية غنية في وقائعها ومآسيها، ويمكن القول أن الأمراض والاوبئة كانت مادة خصبة للأدباء والكتاب والمخرجين



العادات الخاطئة التي يتبعها المصريين رغم الوباء

من كل انحاء العالم، فقد استطاعوا أن يتجاوزا هذه الفترات الصعبة بفنهم وكتبهم وموهبتهم واستطاعوا أن يمتعوا المجتمع بأعمالهم التي أصبحت كسفينة النجاة التي نعبر بها الأزمات.

ورغم أن إنتاج الأفلام التي تناقش الأوبئة في مصر كانت قليلة للغاية، إلا أن التناول الإنساني للوباء كان على قمة هذه الأعمال الفنية، ولكن لم يتطرق إلى هوية المرض نفسه أو تاريخ ظهوره، أو أسبابه، أو علاجه، فقد اكتفى المخرجين فقط بالبشر المعايشين للحدث، ومن بين الأفلام النادرة في تاريخ السينما المصرية فيلم "عاصفة على الريف" الذي أخرجه أحمد بدرخان عام ١٩٤١م ، هذا الفيلم الذي تعرض لوباء الكوليرا من خلال طبيب يواجه الجهل والمرض في إحدى القرى النائية، والفيلم مأخوذ عن قصة من تأليف بديع خيري، الفيلم بطولة يوسف وهبي وأمينة رزق ومحمود المليجي وحسين رياض، ويدور الفيلم حول إصرار الدكتور أشرف على محاربة وباء الكوليرا، وصراعه مع كل رموز الدجل والشعوذة في القرية «حلاق الصحة والعمدة والعطار»، وهكذا واجه الدكتور الكثير من المشكلات معهم، نظرا لأنهم يتكسبون من بيع الوهم، من خلال بعض الوصفات،

سواء من محل العطارة أو بواسطة أنواع من التركيبات، التي يدعي الدجالون أنها «مقاومة لمرض الكوليرا» وبالرغم من كل محاولات الدجل والنصب على الفلاحين واستنزاف مواردهم القليلة، فإنه لم يتم القضاء على الوباء، وكان لفقدان الوعي لدي الفلاحين من جهة وتقصير أجهزة الدولة من جهة ثانية أن يكون الانتصار لفريق الدجالين والمشعوذين، وتكون الهزيمة من نصيب دكتور القرية «رمز العلم»، وبالرغم من تآمر قوي التخلف «بهدف تحقيق مصلحتهم الشخصية على حساب الفلاحين» فإن بطل الفيلم لم يتراجع عن مواجهتهم إلي أن تحقق له النصر في النهاية بعد القضاء على الوباء.

كذلك نري تلك المشاهد البسيطة عن وباء الكوليرا في السينما المصرية، التي توالت في فيلم "الزوجة الثانية"، عندما قدم لنا المخرج صلاح أبوسيف عام ١٩٦٧م، هذه التحفة الفنية، وقام ببطولته صلاح منصور، وسعاد حسني، وشكري سرحان، وعبدالمنعم إبراهيم، وغيرهم، وظهر خلال الفيلم المأمور "إبراهيم الشامي"، وهو يحدث العمدة "صلاح منصور" عن الوباء وتفشيه، ودور الحكومة في مواجهته. وفي مشهد هام من الفيلم يظهر سلكًا شائكًا ثم خيم من القماش بداخلها مصابين، ثم يمد بعض المصابون أذرعتهم لأخذ جرعات من العلاج عن طريق الحقن، وينادي بعدها أحد الأطباء في الريف على جمع من الناس ''يا ناس البلد مهددة بوباء خطير إذا أسرعنا بمعرفته ها ننقذ الالاف الأرواح''، ويأتي مشهد آخر ''دي الكوليرا أنا عارف أعراضها تفضل مرمي لوحدك وبعد ٦ أيام تكون ميت''.

كما تروي لنا رواية "اليوم السادس" للكاتبة ''أندرية شديد''، قصة انتشار مرض الكوليرا في أربعينيات القرن العشرين من خلال استعراض معاناة امرأة مصرية تدعي «صديقة» مع إصابة ابنها بالكوليرا، وقيامها بإخفائه لمدة ٦ أيام، حتى لا يتم القبض عليه واحتجازه مع بقية المرضي الذين كان يتم عزلهم، كما تصور لنا الرواية سبب انتشار الوباء بكثرة وترجع السبب الى عدم تخلص الناس من ملابس ومقتنيات الضحايا الأمر الذي جعل المرض ينتشر أكثر،، ويعود السبب الرئيسي في عدم تخلصهم من هذه الأدوات الى الفقر الشديد فهم لم يكترثون الى مخاطر الكوليرا بقدر ما فكروا في ثمن هذه المقتنيات، بالإضافة الى أن الفقر يجعل الناس غير مبالية بصحتها ما جعل الكوليرا يحصد أرواح السكان.

وفي عام ١٩٨٦ قدم يوسف شاهين هذه الرواية في صورة فيلم يحمل نفس الاسم «اليوم السادس» من إنتاجه، بطولة داليدا ومحسن محيي الدين وشويكار وصلاح السعدني وحمدي أحمد.

ولا ننسي رواية «الأيام» التي قال فيها عميد الأدب العربي طه حسين مقولته الشهيرة ''الحزن كالوباء يوجب العزلة''، فقد امتلأت أعماله بمعاناة المجتمع المصري، وكانت «الأيام» عرض لسيرته الذاتية، حيث تحدث في الجزء الأول منه عن انتشار مرض الكوليرا في قريته وموت أخيه الذي كان أمل الأسرة في مستقبل أفضل بسبب هذا الوباء، فكان سبيل العائلة للتحصين ضد هذا الفيروس هو تناول الثوم على الريق كمضاد حيوي ضد المرض.

وعلى الجانب الآخر فإن رواية "الحب في زمن الكوليرا" لغابرييل غارسيا ماركيز التي نشرت عام ١٩٨٥، هذا الروائي والصحفي والناشط السياسي الكولومبي هو واحد من أشهر كتاب الواقعية العجائبية، ويُعد عمله

"الحب في زمن الكوليرا" تمثيلًا لهذا النوع الأدبي الذي يمزج الحب والثقافة بالواقع، خاصة انا ماركيز يعد من اهم وابرز الروائيين الذين تأثروا بحضارة أمريكا اللاتينية وتناولوها في أعمالهم.

ويأخذنا ماركيز في رحلة ترجع بنا إلي نهاية القرن التاسع عشر في قرية صغيرة على ساحل البحر الكاريبي بالمكسيك، يتفق عامل تلغراف فقير وتلميذة جميلة على الحب مدى الحياة والزواج من ثم، لكن الحبيبة تخون الوعد وتتزوج من طبيب. ويحافظ العاشق المهزوم على حبه ويسعى إلى تكوين ثروة حتى يكون جديراً بحبيبته، التي لم يكف عن حبها طوال تلك الأعوام، يصر البطل "فلورنتينو" على تحقيق هدفه في الزواج من البطلة "فرمينا" أياً يكن الثمن، وبعد وفاة زوجها الطبيب وكان كلاهما قد بلغا السبعين، يكتب لها رسائل تتحدث عن الحب والحياة والزواج والشيخوخة فتنال رضاها وتساعدها على تقبل فكرة الشيخوخة والموت، أما هو فظل يرى فيها الحبيبة على الرغم مما فعل بها العمر. والمشاهد الأخيرة في الرواية تدور خلال رحلة في سفينة نهرية يملكها فلورنتينو كان دعا إليها حبيبته فوافقت، وهنا يقترب منها أكثر وتدرك بأنها تحبه فعلاً على الرغم من شعورها بأن عمرها الذي ناهز السبعين لم يعد صالحاً للحب، ومن أجل الانفراد بها وعيش لحظات جميلة من الحب يريدها طويلة ولا نهاية،يتخلص من المسافرين على متن السفينة معتمداً خدعة أن السفينة تحوي وباء الكوليرا، تمضي السفينة في عبور النهر ذهاباً وجيئة رافعة علم الوباء الأصفر ولا ترسو إلا للتزود بالوقود، لكن خدعة الكوليرا لن تمر بسهولة بل أحدثت حالاً من الذعر في المدينة. ويرسل لنا ماركيز رسالة من خلال روايته يقول فيها "إن هذا الحب في كل زمان ومكان، ولكنه يشتد كثافة كلما اقترب من الموت" وفي عام ١٩٧٢ م ،قامت السينما المكسيكية بإنتاج فيلم مومياوات غواناخواتو "The Mummies of Guanajuato" او بالإسبانية "Las momias de Guanajuato"، للمخرج فيديريكو كوربيل، والكتاب روجيليو أغراسانشيز، وتدور قصة الفيلم عن مومياوات غواناخواتو ولكن بحبكة سينمائية مختلفة وضعيفة إلي حد ما وليس لها علاقة بالقصة الحقيقية، عندما استيقظت مومياء المصارع الأسطوري يُدعى "ساتان" بعد مائة عام، وذلك لأنه عندما خسر مباراة في البطولة أمام خصمه سانتو قبل مائة عام قرر الانتقام، وأبرم صفقة مع الشيطان للعودة إلى الحياة وتحدي المصارع الفضي (سليل الرجل الذي ضربه)، حيث كان الشيطان ساحرًا قويًا تعهد بالانتقام من مدينة غواناخواتو قبل وفاته، واستطاع الشيطان أن يوقظ المصارع الاسطوري للانتقام.

ويمكن القول أن الأعمال الأدبية استطاعت أن توفر لنا المهرب والعزاء والسلوى والرفقة في اوقات الاوبئة والامراض، وهذا ما يطلق عليه أدب الوباء فهو موجوداً دائماً، لأن الأوبئة كانت موجودة دائماً أيضاً، وما يميز أدب الوباء، إنه إذا لم يكن نوعاً من التفسير فإنه محاولة لاستخراج المعنى من التجربة الحية للذعر، الرعب، واليأس الذي يصاحب الوباء. فهو وسيلة للتذكير بأن العقل لا يزال موجوداً في مكان ما، فالأدب عملية إصلاح تواجه ما يؤكده المرض وهو أن العالم ليس لنا.

ومما سبق نستنتج أن حركة التجارة كان لها تأثير واضح على انتشار الاوبئة من دولة الي اخرى، وما يساعد على انتشار الوباء داخل الدولة هو تهاون الحكومات في البداية في تقديم الخدمة اللازمة، بجانب الكثافة السكانية والعادات الخاطئة للشعوب، ورغم تقدم الطب وتقديم الاجراءات الاحترازية والوقائية، يظل المواطنين تابعين لمعتقداتهم الخاطئة غير عابئين بالأمراض وفترات الاوبئة، مما يؤدي الي انتشار الوباء وموت الالاف يوميا.

كما نلاحظ التقارب بين الشعبين المصري والمكسيكي في القرن التاسع عشر من خلال تردي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصحية للبلدين، والكثافة السكانية مع زيادة في الفقر والمجاعات، بالإضافة الي اتباع السلوكيات الخاطئة والانجراف وراء الشائعات والمعتقدات الخاطئة، وجهود الحكومات الوقائية والفرق الطبية المتقاربة بين البلدين.



بقلم: محمد ضياء طه
كاتب عراقي

زيارة خاطفة للتاريخ والجغرافية "أرمينية الجميلة"

من حقول لا تتحفظ فيها اللقالق لتحط على أعالي كل سنان. من بلاد نفضت الأرض عن سطحه المباني لنزيل ما قدسته ساكنتة، كاشفة مكمنه من أحجار وألوان، عل الأخير يكتفي ويرتوي. من مروج احتارت فيه الفراشات أين تحط لشدة تباين ألوان ازهاره وتنوع عطوره. من وطن تسامحت فيه أمته مع من اجتاحه من آشوريين وساسانيين وعرب وصفويين وأتراك وروس. من أرض انسان ألف رواية سفينة نوح التي حطت على آرارات، الجبل ومنها العام انتشر من بلد قست عليه الجغرافية والتاريخ، مسايرا ومكتنفا بالتملص والتقية ، قليل من الموسيقى التقليدية الأرمنية كانت كفيلة لتفجر مكامن الفرح. ارتفع صوت مذياع الترانسيستور القديم الذي يحمله أرتور معه في طريقه لقرية لشاشن الواقعة على خط سكة الحديد من يريفان إلى بحيرة سيفان. بحيوية تمايلت ذات الأعوام التسعة الصغيرة على أنغام الموسيقى المنبعثة. تشجع أرتور فرفع الصوت قليلا. إلا أن والدتها نهتها فقد يعطي تجاوبها إشارة خاطئة تفضي لما هو غير متوقع. كذلك جوبه بتبرم الآخرين حوله في العربة أخفض الصوت مرة أخرى فخبت من ملامحه علامات الحبور

استجاب أرتور لنظراتي الفضولية تجاهه، فبادرني بابتسامة غامرة ملؤها ألم ينزغ لكرب لا يوصف. ترددت كثيرا في



تقديم بعض من حلوي قمح مروج بلاده ومرباها من فواكه مزارع أرضه خشية أن يرفضها ويقطع ابتسامة مكشرا عن وجه آخر. خيل لي أني أقرأ في تعابير وجهه وملأ عيناه حزناً عميقًا لخسارته ابنه في معارك آرتساخ في أب / أوغست، ٢٠٢٠ معارك لا طائل منها سوى سجلا لسياسيها وتكرارا لماضي حالك متشابكفجأة، ينتفض متوجها بنظره نحو حجاب رأس بشري ليعود إلى متسائلاً مرتعدًا وكأنه بصدد نحر أحدهم إشارة لمذابح الأرمن على يد الأتراك إبان الحرب العالمية الأولى التي تفادى جده الموت فيها بعد أن هجر أهلها قرأهم حول

لا طائل منها سوى سجلا لسياسيها وتكرارا لماضي حالك متشابكفجأة، ينتفض متوجها بنظره نحو حجاب رأس بشري ليعود إلى متسائلاً مرتعدًا وكأنه بصدد نحر أحدهم إشارة لمذابح الأرمن على يد الأتراك إبان الحرب العالمية الأولى التي تفادى جده الموت فيها بعد أن هجر أهلها قرأهم حول بحيرة فان. كاد الأمر يتطور إلا أنني نفدت بعد أن تبين له موقفي من ذلك. استغربت وبادرته كيف لكم أن تتصالحوا مع الصفويين، وآثارهم في المسجد الأزرق وسط العاصمة يريفان تشهد؟ أطرق رأسه رياء أي ذاكرة انتقائية تلك؟

بذقنه غير الحليق لأيام وتغضن وجنتيه ورائحة الكونياك المصنع منزلياً من الكرز والمشمش المنبعثة منه وبنطاله الأسود الذي أمسي فضفاضاً وقدم بدلته الزيتونية الغامقة والتي بعد معالجة زوجته لها ما فتئت تحمل في طياتها رونق ماضيها. أجزم أنه كان موظفا رفيعا يتمتع بكل ما يستحقه قبل ٣٥ عاما. إلا أنه اليوم يشكو قلة الحيلة وتلاشي الأمل وكأن الزمن جُمد منذاك. لقد توقفت الحياة والشركات والاعلانات كل ما يحب. أخرج من جيبه ما تبقى له من فواكه مجففة منزلية أعدتها له زوجته التي سئمت الحياة هي الأخرى، ليلتهمها بدون مضغ توقف القطار بعد تباطؤ في محطة أخرى، نظر عبر النافذة وصار يلوخ محيي أطفالاً يلعبون الكرة في فرحة عارمة، قاطعة تحرك القطار مجددا ليعود بسحنته إلى تعابير الوجوم والملل. رن تلفونه المحمول. إلا أنه رفض المكالمة، إنها زوجته،كل ما تبقى له من الماضي. مسافرة على معرفة به نبهته للتهيء للنزول في المحطة القادمة. أومأ إليها محتجا.

إلا أنه استجاب ونزل عودة إلى زوجته، ملاذه الأخير بعد أن توقف القطار متثاقلا تحرك القطار مرة أخرى بعد أن أصدر كلما أمكنه من ضجيج. من بعيد يلوح مزارع التقط أنفاسه التحية القطار المار كمن يودع حبيبته لتعود. لم يستجب أي من ركاب القطار الذي استقللناه في طريقنا إلى بحيرة سيفان قادمين من العاصمة يريفان القضاء يوم آخر.من داخل القطار المتوجه لبحيرة سيفان من يرفان

٢٠٢٢/٠٨/٠٥

شجرة السنط في مصر الفرعونية

بقلم: أ.د. فايز أنور عبدالمطلب مسعود
أستاذ التاريخ والحضارة المصرية

لعبت شجرة السنط دورًا في العقيدة والسحر وأيضًا الطب، فهي شجرة مقدمة في الفكر المصري القديم وكانت تسمى nht ومخصص المنزل يحوي بأنها تعني المأوى، وكان من الاعتقاد السائد في مصر القديمة أن أغصان شجرة السنط تسكن بالأرواح والآلهة، وللشجرة السنط مكانة متميزة في الفكر الأسطوري في مصر القديمة، وقام عدد من الباحثين بدراسة تلك الشجرة فيما يخص جوانبها الدينية والدنيوية، ومن هؤلاء الباحثين، دكتور سهام السيد عبدالحميد، شجرة السنط في القديمة.

وللتعريف بشجرة السنط بأنها شجرة شائكة تقترب فروعها من الأرض، وتتميز بصلابتها، وتوجد في المناطق الجافة، مثل الصحراء، ومناطق البحر الأحمر وسيناء.

ولشجرة السنط ثمارًا قرنية يصل طولها إلى ١٥ سم، وتحمل بداخلها عدة بذور لونها بني، وهذه الشجرة مصدر لعلف الحيوان وخاصة للأغنام، وذلك لاحتوائها على المعادن والبروتينات المغذية، وهي مصدر للأخشاب والصمع، وكذلك للوقود. وأيضًا زراعتها يؤدي إلى تحسين التربة القاحلة، وذلك لأنها تمد التربة المحيط بالنيتروجين والكربون العضوي، وتزرع في الأماكن الحارة والقاحلة، وكما هو واضح في الشكل فإنها شجرة طويلة ذات ساق وأفرع داكنة اللون، أزهارها صفراء اللون، وجذعها يفرز



أزهار وقرون وصمغ شجرة السنط

مادة صمغية، وهي من أهم الأشجار استخراجًا للصمغ. واستخدمت في صناعة الباقات والأكاليل الجنائزية في مصر القديمة، أما قرون شجرة السنط فتتميز بكثرة انبعاجاتها، ويصل طولها إلى ١٥سم تقريبًا.

واستخدم خشب السنط منذ عصر ما قبل الأسرات، حيث كان ينمو في المناطق المجاورة لمدينة طيبة، واستخدم في صناعة المراكب وصواري السفن، وأيضًا استخدم خشب السنط في صناعة التوابيت، وكذلك في الحياة الدنيا في الأعمال الخشبية وأعمال البناء والتشييد في فترات مصر الفرعونية.

ومن الجدير بالذكر أن لحاء شجرة السنط استخدم في الدباغة، فلقد عثر في بلدة الجبلين جنوب مصر على جلود مدبوغة بعصارة قرون شجرة السنط التي تحتوي على مادة التنين تستخدم في الدباغة، ويرجع تاريخها إلى ما قبل الأسرات المصرية القديمة.

وكذلك قام المصري القديم بتلوين الجلود المدبوغة بألوان مختلفة كان أكثرها شيوعًا اللون الأصفر، والأخضر، والأحمر. وشجرة السنط كانت من أهم مصادر الحصول

على اللونين الأصفر والأزرق. أما عن شجرة السنط في الديانة المصرية القديمة، فلقد كان لها هيكلاً لعب دورًا في الديانة المصرية القديمة، وخاصة في طقوس الدفن في الدولة القديمة، وكان يسمى šndt pr بيت السنط، كما ارتبطت به بعض المجموعات النسائية، شاركن في تقديم القرابين وكذلك أداء الرقصات الجنائزية، وكان للنساء دورًا في بيت السنط فيما يخص المساعدة في عمليات الذبح مع الجزارين وإعداد اللحوم للطبخ، كذلك تجهيز الطعام والشراب للمتوفي، وكذلك المشاركة في الشعائر الدينية المختلفة للدفن، مثل الرقص الجنائزي، وأداء الموسيقي الجنائزية، وأطلق عليهم (المجموعات الموسيقية لهيكل السنط).

وكان هذا الهيكل موجود منذ الدولة القديمة خلال الأسرتين الرابعة والخامسة، وامتد للدولة الوسطي، ولقد هذا البيت بالإلهتين "إيزة و نفتيس"، وبالنسبة للملوك فلقد ارتبط بالملكة "حتب حرس" أم الملك "خوفو"، وحملت "حتب حرس" لقب سيدة الجزارين التابعين لبيت السنط، وذلك الملكة "مرسي عنخ الثالثة" زوجة الملك "خفرع"، وأرتبط بيت السنط بالإلهتين "سخمت وحتحور"، وكان لمغنيات "حتحور" دورًا في بيت السنط من حيث الرقص والمشاركة في الاحتفالات الملكية، وكذلك الشعائر الجنائزية. وبخصوص الألقاب المرتبطة بشجرة السنط، فلقد تعددت تلك الألقاب ومنها، لقب:

imy-r šndt

مشرف شجرة السنط، وهو من الألقاب النادرة في الدولة القديمة، ولقد ورد على كتلة من الحجر يبلغ ارتفاعها ٣٩ × ٤١ سم من مقبرة شخص غير معلوم، وتعود للأسرة الثالثة، والكتلة محفوظة بمتحف تورنتو.




كتلة حجرية عليها شجرة السنط

أما عن شجرة السنط في الكتب الدينية، فلقد وردت في نصوص الأهرام، وكان دورها في الحماية فلقد ورد في الفقرة رقم ٤٣٦ بنصوص الأهرام أن شجرة السنط كانت شجرة مقدسة للإله "حور"، وانه احتمي بها من الأسود، فجاء، تلاوة: ونيس هو حور الذي أتى من شجرة السنط الذي أتي من شجرة السنط يحذر من الأسود يحذر من الأسود". وورد أيضًا في نصوص الأهرام أن با المتوفى كانت مثل الآلهة يسمح لها بالجلوس على الأشجار المقدسة في صورة طائر، ولقد وجد منظر بمعبد حتحور بـ دندرة يصور شجرة السنط يقف عليها طائر البا.



تصور شجرة السنط بمعبد حتحور بـ دندرة

أما شجرة السنط في متون التوابيت فلقد وردت في بعض التعاويذ وهي مرتبطة بالإله أوزير: "أوزير خرج من أنف (قلب) شجرة السنط القديمة". ولقد ارتبطت بالإله أوزير فذكر أنه عندما مات وضع في تابوت من السنط، وأن الشجرة نمت حول جثته لإخفائها، فورد بمعبد دندرة منظر يصور ضريح "أوزير – سكر" وعلى يمين ويسار الضريح تقف الإلهتين نفتيس وإيزه، وتنمو فوقه شجرة سنط.



منظر شجرة السنط بقبر أوزير – سكر بمعبد دندرة

ولقد وردت شجرة السنط في كتاب الموتى، ففي الفصل الخامس عشر بكتاب الموتى ترنيمة وابتهال إلى أوزير يقول "أوزير أني" الكاتب الملكي وبصحبته زوجته في ابتهال لأوزير: "التضرع لك رب شجرة (السنط)". وورودة في فصل الدخول إلى قاعة ماعت، ترنيمة مديح إلى أوزير، يقول "أوزير – اني" مخاطبًا أوزير لقد أتيت في ابتهال لماعت، لقد أصبحت بالقرب من المكان، ثم قال: "حيث لا تنمو شجرة السنط.... لقد دخلت إلى الموضع الخفي"، وفي فقرة (١٠) من الفصل ١٢٥ ورد ما يلي: لقد رفعت قرابين البخور وشققت طريقي ثم قال: "بجانب شندت شجرة الأطفال (المقدسين)".

وصورت شجرة السنط بكتاب الموتى، فلقد صورت قطة تحمل سكين في يدها اليمنى وتقطع بها رأس ثعبان وتمثل القطة الإله رع والثعبان رمز للمعبود ست عدو رع وخلف القطعة صورت شجرة السنط، وربما تكون شجرة السنط للحماية في هذا المنظر.



تصوير شجرة السنط بكتاب الموتى

وظهرت شجرة السنط في الأدب والقصص المصرية القديمة، فلقد ورد في السيرة الذاتية لـ"وني" بمقبرته بأبيدوس وترجع لعصر الأسرة السادسة خلال عصر "بيبي الأول" أن سيده أرسله إلى "واوات" لعمل مركب من السنط فيذكر النص: "خمس مراكب من خشب سنط النوبية"، وورد في نفس السيرة الذاتية أن سيده أرسله إلى "حتنوب" في مصر الوسطى لعمل قارب من السنط، فجاء:
"قطعت له مركب كبيرة من خشب السنط".

وذكر "انيني" بمقبرته بطيبة – الأسرة الثانية عشرة – أنه أمتلك حديقة كانت تحتوي على أنواع كثيرة من الأشجار من بينها ٧٣ شجرة جميز، ٣١ شجرة سنط".

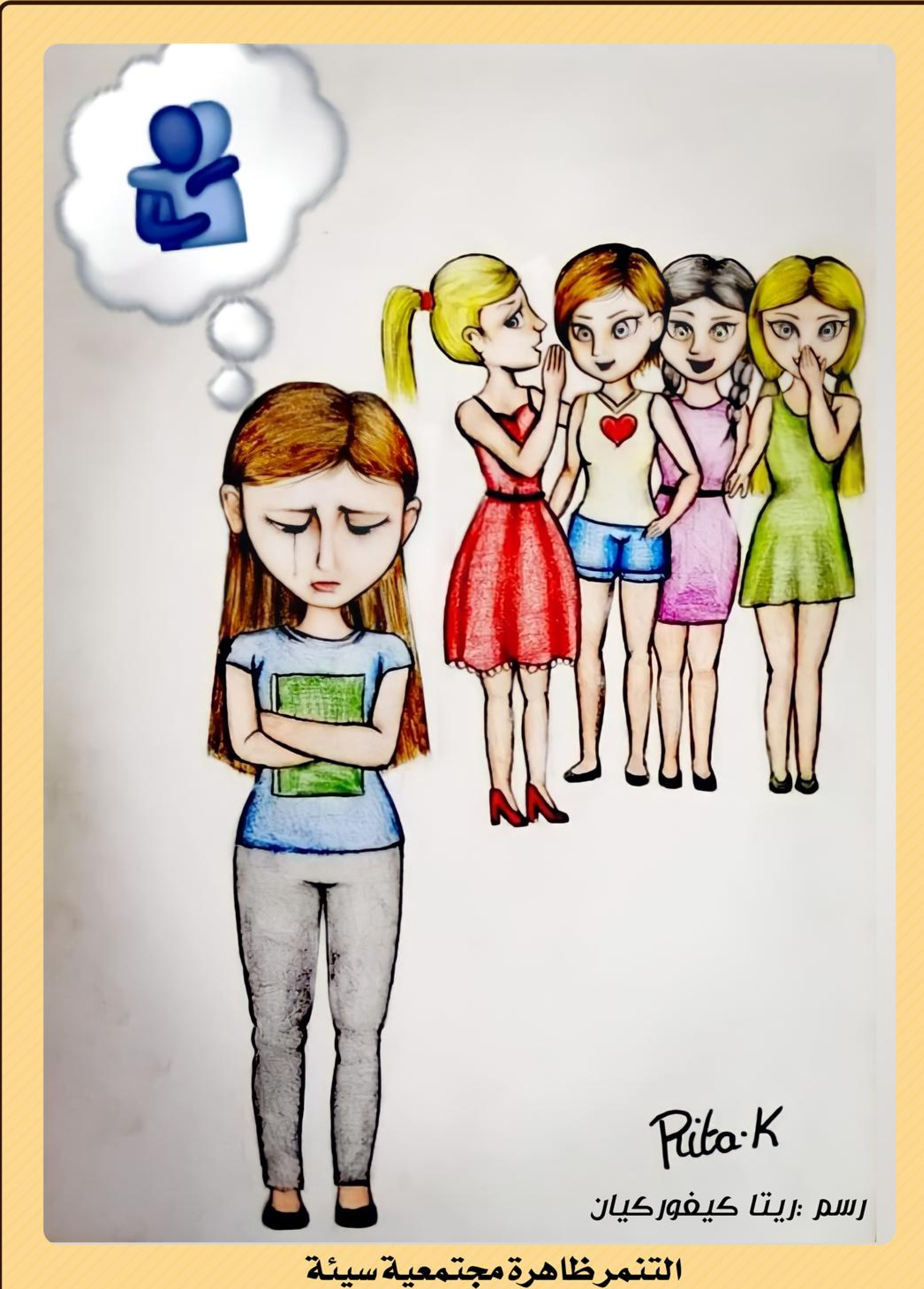
وورد في نص بمقبرة أحد الأفراد بعبد القرنة، وترجع لعصر الملكة حتشبسوت: "خشب السنط من كوش".

وورد ببردية "شيستربيتي" وترجع لعصر الملك "سيتي الأول" إشارة إلى الحيلة التي دبرتها "إيزه" على "ست" حيث جعلت من نفسها امرأة غاية في الجمال ومرت بالقرب من "ست" بينما كان جالسًا مع أعضاء المحكمة، فقام "ست" وغازلها وعندما تبادلا الحديث قصت عليه قصتها، فقالت أنها كانت زوجة أحد رعاة الماشية وأنجبت منه ابنًا، ومات زوجها وتولى ابنه أمر ماشيه أبيه، لكن شخص غريب استولى على الماشية، فقال "ست" كيف يستولي غريب على الماشية بينما ابن رب العائلة موجود؟

عندئذ جعلت "إيزة" هيئتها في صورة حداءة، وجاء: "عندئذ جعلت ايزة هيئتها في (صورة) حدأة، وطارت (ثم) حطت فوق قمة فرع شجرة سنط ونادت ست قائلة له (ألا) تخجل من نفسك لقد قلتها بنفسك وبفمك أن حكمتك (جعلتك) تحكم على نفسك).

ولقد كان لتلك الشجرة تواجد في الحياة الدنيا والحياة الدينية عند المصري القديم طوال التاريخ المصري وحتى في العصريين اليوناني الروماني.

ونستكمل في المقال القادم تصوير شجرة السنط في المقابر المصرية القديمة.



التنمر ظاهرة مجتمعية سيئة

ارتقوا